سورة الملك

دراسة في التفسير الموضوعي

إعداد:

د. ياسر بن إسماعيل راضي

الأستاذ المشارك في قسم الدراسات القرآنية بجامعة طيبة
المدينة المنورة – المملكة العربية السعودية

الملخص :

يتناول البحث دراسة سورة (الملك) دراسة موضوعية، ضمن إطار المنهج العلمي للتفسير الموضوعي وقواعده البحثية، إذ جاء موضوع سورة (الملك) في غاية الأهمية، لبيان ملك الله تعالى المطلق، وإثبات قدرته سبحانه التي لا يشاركه فيها أحد من الخلق؛ فدلائل قدرته في السورة شاهدة على ذلك.

وقد استعمل البحث المنهج التحليلي، والاستنباطي، والاستدلالي المُعِين على إتمام الدراسة.

وكانت عناصر البحث تصبُّ في دراسة محورين اثنين:

المحور الأوَّل: التعريف بسورة (الملك)، ويشمل: دراسة اسم السورة، وسبب نزولها، والوَحدَة الموضوعية فيها، وعلاقة فضل السورة بموضوعاتها، ومن ثم مناسبة السورة بما قبلها، وما بعدها.

المحور الثاني: التفسير الموضوعي لسورة (الملك)، إذ قسِّمت السورة إلى مجموعات مترابطة ببعضها إلى بعض، خادمة لمحور السورة العام وموضوعها، مع بيان مناسبة مفتتح السورة بخاتمتها.

وخلُص البحث إلى بعض النتائج المهمَّة؛ منها:

- أن تسمية سورة (الملك) توقيفية عن رسول الله ﷺ .
- وجود ترابط وثيق ومناسبة ظاهرة بين فضل سورة (الملك) وموضوعاتها.
- أن الوَحدَة الموضوعية لسورة (الملك)؛ والمحور الأساس الذي تسير في فلكه موضوعات السورة؛ هو بيان ملك الله تعالى عن طريق إظهار دلائل قدرته المتعدِّدة في مقاطع السورة.

Abstract

The research objectively deals with the study of Surat Al-Mulk, and uses the scientific method of objective interpretation, the subject of Surat Al-Mulk is very important to the statement of the absolute power of Allah, and prove His Almighty. The evidence of His ability in this surah is clear proof of that.

The research used the analytical and deductive approach in this study.

The research consists of two elements:

The first is the definition of the Surat Al-Mulk, which includes studying the name of the surah, the reason for its descent, the general subject of the surah, and the relation between this surah and what precedes it and beyond it.

Second: the objective interpretation of the Surat Al-Mulk, divided the Surah into several linked groups, with an appropriate statement that connect its beginning with its ending.

Research results:

- The name of Surat Al-Mulk is Tauqeefi, by the prophet Muhamad ﷺ.

-There is a correlation between the virtue of Surat Al-Mulk and its themes.

-The general subject of the Surah is the statement of the power of Allah and his absolute ability

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله مالك الملك؛ يؤتي ملكه من يشاء، وينزعه ممَّن يشاء، ويُعزُّ من يشاء، ويُذل من يشاء، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله، وصحبه، ومن سار على نهجه، واقتفى أثره إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإن من مناهج تفسير القرآن الكريم ودراسته؛ ما يتجدد بتجدد معطيات العصر وحاجاته، بُغية الوصول إلى مرحلة التدبر والفهم السليم، الذي ينعكس على المسلم في شخصيته العلمية، وحياته العملية، وليكون منهاجاً له، وأساساً في سلوكه، وأخلاقه، وعبادته. وإن التفسير الموضوعي أحد هذه المناهج الحديثة التي لا يستغني عنها الباحث العلمي في دراسة سورة ما من سور القرآن الكريم، وذلك لبالغ مكانة هذا المنهج في مواجهة مشاكل العصر، ومعطيات الحضارة الحديثة، ومنجزاتها، ولإبراز جوانب كثيرة من وجوه إعجاز القرآن الكريم البلاغي، والتشريعي، والعلمي، وغيره.

ويُعرَّف التفسير الموضوعي بأنه" علم يتناول المسائل أو المواضيع حسب المقاصد القرآنية من خلال سورة أو أكثر"[1]. ويقسمه علماء الاختصاص إلى ثلاثة أقسام:

---

[1] مسلم، مصطفى، مباحث في التفسير الموضوعي، (دمشق: دار القلم، ط٥، ٢٠٠٧م)، ص١٦. (بتصرف)

-التفسير الموضوعي للمصطلح القرآني.
-التفسير الموضوعي للموضوع القرآني.
-التفسير الموضوعي للسورة القرآنية.[1]

وإن من سور القرآن الكريم التي تميَّزت بموضوعها، وببعض إشارات الإعجاز العلمي فيها، واختصَّت بالفضل الكبير والأجر العظيم: سورة (الملك)؛ داوم على قراءتها كل ليلة المعلم الأوَّل محمد بن عبد الله ﷺ، واقتفى أثره الصحابة الكرام ﷺ؛ وقد أدركوا مكانتها، وعظيم فضلها، وحقيقة أثرها، فقرؤوها، وتعلموها، وأوصوا بها، كما كان للصالحين معها وقفات وعبر. يقول الإمام السيوطي (ت:٩١١هـ): "وكان المهاجرون والأنصار يتعلمونها ويقولون: المغبون من لم يتعلمها".[2]

وعليه كان الاختيار لموضوع البحث: سورة الملك: (دراسة في التفسير الموضوعي)، ليندرج تحت النوع الثالث من أنواع التفسير الموضوعي المذكورة آنفاً.

أولاً: موضوع البحث وحدوده:

يُعنى موضوع البحث بدراسة سورة (الملك) دراسة تفسيرية موضوعية مستقلة، قائمة على قواعد البحث العلمي، ومنهجه في التفسير

---

[1] الخالدي، صلاح عبد الفتاح، التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق، (الأردن: دار النفائس، ط١، ١٩٩٧م) ، ص٥٢ .

[2] السيوطي، جلال الدين ، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، (بيروت: دار الفكر، ١٩٩٣م)، ٢٣٣/٨.

الموضوعي، الذي ساهم في تأسيسه ثلَّة من علماء العصر الحديث، وأوضحوا معالمه وطريقة البحث فيه. وهي دراسة تختلف في تحليلاتها ونتائجها عن البحث الشمولي، والتكاملي في تفسير سور القرآن الكريم وآياته. ولا تخرج الدراسة عن نطاق سورة (الملك)، إلا بقدر إيجاد الروابط الموضوعية، والمناسبة بينها وبين السورة التي قبلها (سورة التحريم)، وبينها وبين السورة التي بعدها (سورة القلم).

ثانياً: مشكلة البحث.

تتلَّخَّصُ مشكلة البحث في الإجابة عن الأسئلة الآتية:

- هل تسمية سورة (الملك) بهذا اللفظ؛ تسمية توقيفية عن رسول الله ﷺ ؟ أم اجتهادية عن الصحابة رضي الله عنهم؟
- ما الوَحدَة الموضوعية لسورة (الملك)؟ والمحور الأساس التي تسير في فلكه موضوعات السورة؟
- ما العلاقة الموضوعية بين فضل سورة الملك ووحدتها الموضوعية ؟

ثالثاً: مكانة البحث.

تتبَّين مكانة البحث من خلال العناصر الآتية:

- تقديم مثال دراسي حديث في لون من ألوان التفسير الموضوعي يفيد طالب العلم المتخصِّص.
- إبراز مادة الوَحدة الموضوعية للسورة القرآنية في دراسة مثالية لسورة (الملك).

- إثبات فضل سورة (الملك)، فقد ورد في فضلها العديد من الأحاديث الصحيحة، والضعيفة، والمنكرة، وساقها عددٌ من المفسرين في كتبهم، دون تخريج أو تعليق؛ إلاَّ ما ندر منهم، أمثال: الحافظ ابن كثير (ت: ٧٧٤ هـ) في تفسيره [١].

رابعاً: أسباب اختيار البحث.

وتتلخَّص بالآتي :

- اختصاص سورة (الملك) بالفضل العظيم، وأنها المنجية من عذاب القبر؛ دون غيرها من سور القرآن الكريم؛ بعث الهمة إلى النظر فيها، والدراسة التفسيرية الموضوعية لآياتها.
- تفسير سورة (الملك) تفسيراً موضوعياً؛ يمثل لوناً من ألوان التفسير الموضوعي، وهو: التفسير الموضوعي لسورة قرآنية.
- نُدرة الدراسات العلمية في تفسير سورة (الملك) تفسيراً موضوعياً له منهاجه وخصائصه.

خامساً: الدراسات السابقة.

تُعدُّ سورة (الملك)، واحدة من سور القرآن الكريم، التي تناولها المفسرون في كتبهم قديماً وحديثاً، على اختلاف منهاجهم في التفسير، وطريقتهم في العرض والتحليل، وقليل منهم من أفرد بحثاً علمياً، أو مؤلفاً

---

[١] يُنظر مقدمة تفسيره لسورة الملك، ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل، تفسير القرآن العظيم، (بيروت: دار المعرفة، ط٢، ١٩٨٧م)، ٤٢١/٤.

مستقلاً عن السورة.

ومن خلال الاستقراء والبحث يمكن تصنيف الكتابة في هذه السورة مستقلة عن غيرها من سور القرآن على صنفين:

الصنف الأول: من كتب عن تفسير السورة بصورة عامَّة، أو تناول جانباً من جوانبها، ومثاله:

١- كتاب: (**تفسير سورة الملك**)، للإمام أحمد بن سليمان بن كمال باشا (ت:٩٤٠هـ)، وهو رسالة قصيرة، أفردها المصنِّف بالتأليف، وقام بتحقيقها وأكمل فوائدها: د. حسن ضياء الدين عتر.[١]
والرسالة مختصرة، عبارة عن معاني مفردات الآيات، وشيء من التفسير المجمل لها.

٢- بحث بعنوان: (**التفسير الجامع لسورة الملك**)، لأبي يوسف ابن إسماعيل المصري[٢].[٣]
وهو بحث الكتروني – غير مطبوع- يُعدُّ أحد بحوث موقع التفسير الجامع والبحوث الشرعية، يقع في (٢٩٩) صفحة، في مقاس ورق

---

[١] طبعة: (بيروت: دار البشائر الإسلامية، ط١، ١٩٨٦م).
[٢] لم يصرِّح المؤلف باسمه في الموقع، ولكن يظهر في أطواء بحثه أن اسمه (شريف) إذ يشير إلى ذلك أحياناً بقوله: قلت: (شريف)، وأخرى يرمز باسمه بحرف (ش)، ومرة يقول: قلت (أبو يوسف). والله أعلم بمراده في عدم التصريح باسمه.
[٣] يُنظر موقع: www.tafsirs.com

التصوير (A4)، والكتاب على اسمه، فهو جامع لأقوال أشهر المفسرين، وتظهر شخصية المؤلف واضحة باجتهاداته وتعليقاته، إلاَّ أن في البحث زيادات كثيرة قد بالغ فيها المؤلف، لا سيما إفاضته في تفسير بعض الإشارات العلمية في السورة. كما فعل في تفسير قوله تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ١٦﴾ فإذا وما بعدها، إذ ذكر حوادث عديدة، وكوارث أرضية، مدعَّمة بالصور الفوتوغرافية، والأرقام الإحصائية للزلازل والبراكين في العالم.[1]

٣- كتاب: (**من بلاغة سورة الملك**)، للدكتورة: عائشة حسين فريد.[2] تناولت المؤلفة فيه الجوانب البلاغية في جميع آيات السورة بشكل تفصيلي، مقترنة بالتفسير الإجمالي للآيات.

٤- رسالة علمية بعنوان: (**جماليات النص القرآني: سورة الملك نموذجاً**)، للباحث: مصطفى المطلي.[3]

---

[1] وقد استغرق هذا المبحث (٦٧) صفحة. يُنظر البحث في المرجع السابق، من (ص ١٥٧- ص٢٢٤).

[2] طبعة: (الزهراء كمبيوسنتر بمصر، د.ط، د.ت).

[3] (دبلوم الدراسات العليا-فاس، المغرب/ظهرالمهراز، ١٩٩٤م، كلية الآداب)، ذكره: كشَّاف الدراسات القرآنية؛ الرسائل الجامعية في الدراسات القرآنية حتى ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م)، جمع وإعداد: د. الجيوسي، عبد الله محمد. (دمشق: دار الغوثاني للدراسات القرآنية، ط١، ٢٠٠٧م)، ص ١٢٩.

الصنف الثاني: من كتب عن تفسير سورة (الملك) بقواعد التفسير الموضوعي، ومثاله:

١- رسالة بعنوان: (**تفسير سورة الملك وسورة النبأ تفسيراً موضوعياً**)، للدكتور: عدنان أحمد البحيصي.[١] وهو بحث إلكتروني وجيز. قدَّم له المؤلف بمقدمة علمية عن التفسير الموضوعي: (تعريفه، ونشأته، وألوانه، وأسباب ظهوره، وأهميته). أمَّا ما يخص تفسير سورة (الملك)، فقد شرع المؤلف فيه بتعريف السورة، ومناسبتها لما قبلها وما بعدها، وبيان المحور الأساس للسورة، ثم قسَّم السورة إلى ثلاثة محاور موضوعية رئيسة يقوم عليها التفسير الموضوعي للسورة، وختم البحث ببعض النتائج المستخلصة من الدراسة.

٢- كتاب: (**التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم**)، أعدَّه نخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن، وأشرف عليه الأستاذ الدكتور: مصطفى مسلم. يقع الكتاب في عشرة مجلدات، وهو من أعمال كلية الدراسات العليا والبحث العلمي بجامعة الشارقة.[٢] تميِّز بأنه أوّل إنتاج علمي متكامل لتفسير سور القرآن الكريم تفسيراً موضوعياً. وفق منهجية

---

[١] بحث منشور في بعض المواقع الإلكترونية؛ مثل موقع: شبكة مشكاة الإسلامية: www.almeshkat.net

[٢] يُنظر طبعة جامعة الشارقة، الإمارات العربية المتحدة، الطبعة الأولى، ٢٠١٠م.

موحَّدة لجميع سور القرآن الكريم، لا يستغني عنه طالب علم، أو باحث في التفسير الموضوعي.

ويُعدُّ الكتاب لبنِة علمية وأساساً منهجياً يدعو الباحثين إلى دراسة موسعة، وتحليلات أعمق لعناصر عديدة في السورة الواحدة من سور القرآن الكريم.

هذا مجمل ما توصلت إليه من دراسات سابقة عن موضوع البحث، وهو امتداد لها، سنفيد منها في إثراء المعلومة الخادمة لعناصر التفسير الموضوعي لسورة (الملك) المعنيَّة بالدراسة .

سادساً: منهج البحث.

الدَّراسة الموضوعية لسورة قرآنية يغلب عليها استعمال المنهج التحليلي لآياتها، بغية استنباط الوَحدَة الموضوعية فيها، ومن ثمَّ تقسيمها إلى مجموعات مرتبطة بعضها ببعض، ومتعلقة بالوَحدَة الموضوعية العامة للسورة. وعليه كانت طريقة البحث العلمي المتبعة، هي:

- بيان معالم التفسير الموضوعي للسورة، وذلك من خلال عدَّة عناصر، مثل: التعريف بالسورة، وسبب نزولها، والجو الذي نزلت فيه، وإظهار الوَحدَة الموضوعية فيها من خلال إثبات اسمها، ثم تقسيمها إلى مجموعات مرتبطة بالوَحدَة الموضوعية، وإظهار علم المناسبات بين مقاطع السورة، وبين ما قبلها وما بعدها من سور القرآن، وبين مفتتح السورة وخواتيمها.

- التوثيق العلمي في عزو الآيات القرآنية إلى مواضعها، وتخريج الأحاديث النبوية، ونسبة الأقوال إلى قائلها، وبيان الغريب من المصطلحات، أو المبهمات في أطواء البحث.
- الرجوع إلى المصادر الأصلية للمعلومة، ومراعاة الأسبق من السابق في الأقوال وبعض الاجتهادات.
- الاقتصار في تفسير السورة والإيجاز بما يخدم المنهج العلمي المُتَّبع في التفسير الموضوعي للسورة.

سابعاً: خطة البحث.

يحتوي هذا البحث على مقدمة ، ومبحثين، وخاتمة.

أما المقدمة فتشمل ما يأتي:

أولاً: موضوع البحث وحدوده.

ثانياً: مشكلة البحث.

ثالثاً: مكانة البحث.

رابعاً: أسباب اختيار البحث.

خامساً: الدِّراسات السَّابقة لموضوع البحث.

سادساً: منهج البحث.

أما المبحثين فهما:

المبحث الأول: بين يدي سورة (الملك). ويشمل خمسة مطالب:

المطلب الأول : إثبات اسم سورة (الملك)، وبيان فضلها.

المطلب الثاني : سبب نزول سورة (الملك)، والجو الذي نزلت فيه.

المطلب الثالث : علاقة فضل سورة (الملك) بموضوعاتها.

المطلب الرابع: الوَحدَة الموضوعية لسورة (الملك).

المطلب الخامس: مناسبة سورة (الملك) لما قبلها وما بعدها .

المبحث الثاني: التفسير الموضوعي لسورة (الملك)، ويشمل تسعة مطالب:

المطلب الأول: افتتاح السورة بالقدرة المطلقة على ملك الله تعالى.

المطلب الثاني: قدرة الله تعالى في الأنفس والكون.

المطلب الثالث: خلق النار وحال أهلها دليل على قدرة المالك سبحانه وتعالى.

المطلب الرابع: من دلائل قدرة الله تعالى؛ علمه الدقيق بالخلق.

المطلب الخامس: تذليل الأرض وقلب خصائصها على المكذبين دليل على القدرة الإلهية.

المطلب السادس: إمساك الطير في جو السماء من دلائل قدرة الله تعالى.

المطلب السابع: قدرة الله تعالى في إظهار النِّعم على عباده.

المطلب الثامن: من دلائل قدرة الله تعالى؛ علمه بالغيب.

المطلب التاسع: اختتمت السورة ببيان قدرة الله كما افتتحت به.

وفي الختام : هذا جهد المُقِل، فما كان في هذا البحث من خير وصواب؛ فمن توفيق الله تعالى وفضله، وما كان فيه من خطأ وزلل؛ فمن نفسي والشيطان، وأسأل الله أن ينفع به، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

المبحث الأول : بين يدي سورة (الملك) .

المطلب الأول :

إثبات اسم سورة (الملك)، وبيان فضلها .

لسورة (الملك) عدة أسماء وأوصاف، مما يدلّ على شرفها وعلو منزلتها. يقول الإمام السيوطي: " كثرة الأسماء دالَّة على شرف المسمَّى"[1] :

- فسميت بسورة (تبارك الذي بيده الملك)، نسبة للمقطع الأوَّل من الآية الأولى منها.
- وسُميت بسورة (تبارك)، نسبة للكلمة الأولى من آيتها الأولى.
- وسميت سورة (الملك)؛ نسبة إلى موضوعها.
- ووصفت بسورة (المانعة)؛ لأنها تمنع من عذاب القبر.
- وسورة (المنجية)؛ لأنها تنجي صاحبها من عذاب القبر.
- وسورة (المجادلة)؛ لأنها تجادل أو تخاصم يوم القيامة عند ربها لقارئها.

هذا فضلاً عن أسماء كثيرة وأوصاف؛ ذكرت في بعض الأحاديث الضعيفة والموضوعة، وكتب التفسير، وكلام العلماء.

---

[1] السيوطي، جلال الدين، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: مركز الدراسات القرآنية، (المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ط١، ١٤٢٦هـ)، ٣٤٩/٢.

أما مسألة تسمية سور القرآن، فهي من المسائل الخلافية بين العلماء، إذ تتلخص في كون تسمية سور القرآن الكريم؛ هل هي توقيفية عن رسول الله ﷺ ؟ أم اجتهادية عن الصحابة ﷺ، أم عن غيرهم؟ [1]

في المسألة تفصيل: فمن أسماء السور ما ثبت عن النبي ﷺ، ومنها ما ثبت عن الصحابة ﷺ، ومنها ما كان من اجتهاد أساطين العلم من دون الصحابة ﷺ حتى وقتنا هذا.[2]

إذ إن من عناصر التفسير الموضوعي لسورة ما؛ هو الارتباط الوثيق بين اسم السورة والوحدة الموضوعية فيها، فإن إثبات التسمية تكون أشد تأكيداً في بيان الوحدة الموضوعية للسورة من غيرها.

فسورة الملك المَعنيَّة بالدراسة قد توافرت فيها الأقسام الثلاثة المذكورة آنفاً، وورد في فضلها وتسميتها أحاديث كثيرة، نختار منها ما صح وحسن، ونبني عليه الراجح في تحديد اسم السورة ، ونستأنس ببعض الآثار الأخرى على النحو الآتي :

---

[1] يُنظر هذا المبحث في كتاب: البرهان في علوم القرآن للزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (الرياض: دار عالم الكتب، ط١، ٢٠٠٣م)، ٢٦٩/١. ويُنظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير ، المقدمة الثامنة، ٩٠/١. (تونس: الدار التونسية للنشر، ط١، ١٣٨٤هـ).

[2] يُنظر: د. الطيار، مساعد، المحرر في علوم القرآن ، (جدة: مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي، ط٣، ٢٠١٠م)، ص ١٦٩.

أولاً: ما جاء من تسمية توقيفية عن رسول الله ﷺ .

١. سمَّاها النبي ﷺ بسورة (تبارك)، باعتبار الكلمة الأولى التي تبدأ بها السورة. ودليله: عن ابن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : "سورة تبارك هي المانعة من عذاب القبر".[١]

٢. وسمَّاها كذلك ﷺ بسورة (تبارك الذي بيده الملك). ودليله: عن أبي هريرة ﷺ، عن رسول الله ﷺ: "إن سورة في القرآن ثلاثين آية، شفعت لصاحبها حتى غُفر له: تبارك الذي بيده الملك"[٢]. يقول الطاهر ابن عاشور: "فهذا تسمية للسورة بأول جملة وقعت فيها، فتكون تسمية بجملة، كما سمِّيَ ثابت بن جابر ((تأبط شراً))[٣] ".[٤]

---

[١] اخرجه ابن مردويه، وصححه الألباني في صحيح وضعيف الجامع الصغير، رقم (٥٩٥٦)، (بيروت:المكتب الإسلامي، ط٣، ١٩٨٨م)، ١٣١/٣ .

[٢] رواه ابن ماجه في سننه، رقم (٣٧٨٦)، باب: ثواب القرآن، ص٥٤٠. وصححه الألباني. صحيح ابن ماجه، رقم:(٣٠٦٨)، (الرياض: مكتبة المعارف، ط١، ١٩٩٧م)، ٢٤١/٣.

[٣] تأبط شراً هو ثابت بن جابر الفهمي ، توفي نحو (٥٣٠م)، أحد شعراء الجاهلية الصعاليك، قيل: أن أمه قالت له: كل إخوتك يأتيني بشيء إذا راح غيرك فقال لها: سآتيك الليلة بشيء، ومضى فصاد أفاعي كثيرة من أكبر ما قدر عليه فلما راح أتى بهن في جراب متأبطاً له فألقاه بين يديها ففتحته فتساعين في بيتها فوثبت، وخرجت فقال لها نساء الحي: ماذا أتاك به ثابت؟ فقالت: أتاني بأفاع في جراب قلن :وكيف حملها؟ قالت: تأبطها، قلن: لقد تأبط شراً . فلزمه تأبط شراً. وقيل: لقِّب بتأبط شراً لأنه كان كلما خرج للغزو وضع سيفه تحت أبطه فقالت أمه مرة: تأبط شراً، فلقب بهذا اللقب. علي، د. جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، (دار الساقي، ط٤، ٢٠٠١م)، ٦٤٢/٩.

[٤] ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٢٩/٥.

٣.ووصفها النبي ﷺ بأنها المانعة والمنجية وأقر تسميتها بسورة (الملك)[١]. ودليله: الحديث الأوَّل المذكور آنفاً، وما جاء عن عبد الله بن عباس – رضي الله عنهما– قال: "ضرب رجل من أصحاب رسول الله ﷺ خباءَه على قبر؛ وهو لا يحسب أنه قبر، فإذا قبر إنسان يقرأ سورة (الملك) حتى ختمها، فأتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله! ضربت خبائي على قبر؛ وأنا لا أحسب أنه قبر، فإذا قبر إنسان يقرأ سورة (الملك) حتى ختمها؟ فقال رسول الله ﷺ: "هي المانعة هي المنجية تنجيه من عذاب القبر"[٢].

ثانياً: ما ورد عن الصحابة ﷺ من تسمية للسورة.

١. سمَّاها أبيُّ بن كعب ﷺ بسورة (تبارك)، وهي تسمية موافقة لتسمية النبي ﷺ. ودليله: ما روي عنه أنه قال: " أن رسول الله ﷺ قرأ يوم الجمعة (تبارك) وهو قائم فذكرنا بأيام الله ...الحديث" [٣]

---

١ كنت سابقا أرى أن تسميتها (بسورة الملك) اجتهادي من الصحابة رضي الله عنهم، ولكن الأصح أن التسمية توقيفية لأسباب أقواها إقراره صلى الله عليه وسلم لهذا الاسم عندما سمعه من الصحابي كما ذكره الحديث الآنف الذكر. والله أعلم.

٢ رواه الترمذي في سننه، وقال: حديث حسن غريب، باب: ما جاء في فضل سورة الملك، رقم (٢٨٩٠)، ص٦٥٠.

٣ وتمام الحديث: " أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ يوم الجمعة (تبارك) وهو قائم، فذكرنا بأيام الله، وأبو الدرداء أو أبو ذر، يغمزني فقال: متى أنزلت هذه السورة؟ إني لم أسمعها إلا الآن! فأشار إليه أن اسكت. فلما انصرفوا، قال: سألتك متى أنزلت هذه=

٢. سمَّاها عبد الله بن عباس رضي الله عنهما بـ(تبارك الذي بيده الملك). ودليله : وعن عبد الله بن عباس – رضي الله عنهما – أنه قال لرجل: "ألا أُتحِفُك بحديث تفرح به؟ قال: بلى. قال: اقرأ (تبارك الذي بيده الملك)، وعلِّمها أهلك، وجميع وُلْدِك، وصبيان بيتك، وجيرانك، فإنها المنجية والمجادِلة؛ تُجادِل أو تخاصِم يوم القيامة عند ربها لقارئها، وتطلب له أن ينجيه من عذاب النار، وينجي بها صاحبها من عذاب القبر، قال ابن عباس: قال رسول الله ﷺ: "لوددت أنها في قلب كل إنسان من أمتي" [١] .

وابن عباس – رضي الله عنهما – بهذا قد وافق تسمية الرسول ﷺ للسورة ، وكما يلحظ أنه وصفها بالمنجية كما وصفها النبي ﷺ، ثم بالمجادلة إشارة إلى حديث النبي ﷺ الذي رواه أنس بن مالك ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ : " سورة في القرآن خاصمت عن صاحبها

==السورة؟ فلم تخبرني. فقال أبي: ليس لك من صلاتك اليوم إلا ما لغوت. فذهب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له، وأخبره بالذي قال أبي. فقال رسول الله= صلى الله عليه وسلم: " صدق أُبيّ ". أخرجه ابن ماجة في سننه، باب: ما جاء في الاستماع للخطبة والإنصات لها، رقم: (١١١١)، ص١٥٦. وصححه الألباني في صحيح ابن ماجة، رقم: (٩١٢).

[١] رواه عبد بن حميد في المنتخب من مسنده: ص٢٠٦، رقم: (٦٠٣)، تحقيق: صبحي البدري السامرائي، ومحمود محمد خليل الصعيدي، (القاهرة: مكتبة السنة، ط١، ١٩٨٨م). وحسَّنه ابن حجر كما في فيض القدير للمناوي، (مصر: المكتبة التجارية الكبرى، ط١، ١٣٥٦هـ)، ٤٥٣/٢

حتى أدخلته الجنة: تبارك الذي بيده الملك".[1] كما سمَّاها -رضي الله عنهما- تحديداً بسورة (الملك) في الأثر عنه، والذي مرَّ معنا سابقاً بتسمية الرسول ﷺ لها في العنصر الثالث.

وكذا سمَّاها جابر بن عبد الله ﷺ بتسمية الرسول ﷺ نفسها، وابن عباس رضي الله عنهما. ففي الأثر الصحيح عنه ﷺ قال: " كان ﷺ لا ينام حتى يقرأ الٓمٓ تَنزِيلُ وَإِذَا السجدة، وتَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَإِذَا [2].

٣- وسمَّاها عبد الله بن مسعود ﷺ بسورة (الملك)، و(المانعة). وهذا ما يُفهم من الأثر الصحيح عنه، حيث قال: "يؤتى الرجل في قبره، فتؤتى رجلاه، فتقول: ليس لكم على ما قِبَلي سبيل، كان يقرأ سورة (الملك)، ثم يؤتى من قِبَل صدره -أو قال: بطنه- فيقول: ليس لكم على ما قِبَلي سبيل، كان يقرأ في سورة (الملك)، ثم يؤتى من قِبَل رأسه، فيقول: ليس لكم على ما قِبَلي سبيل، كان يقرأ في سورة (الملك)، فهي

---

[1] رواه الطبراني في المعجم الصغير، ٢٩٦/١. سليمان بن أحمد أبو القاسم، تحقيق: محمد شكور محمود الحاج أمرير، (بيروت: المكتب الإسلامي؛ عماد: دار عمار، ط١، ١٩٨٥م). وقال الهيثمي، علي بن أبي بكر: ورجاله رجال الصحيح. ينظر كتابه: مجمع الزوائد، (القاهرة: دار الريان للتراث؛ بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٧هـ)، ٧/ ١٢٧.

[2] رواه الترمذي في سننه، باب: ما جاء في فضل سورة الملك، رقم (٢٨٩٢)، ص٦٥٠. وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، (رقم ٥٨٥)، ١٣٠/٢.

المانعة؛ تمنع عذاب القبر، وهي في التوراة سورة (الملك)، من قرأها في ليلة فقد أكثر وأطيب"[1].

وقد أخبر ﷺ بصريح العبارة، بأن تسميتها على عهد رسول الله ﷺ كانت بالمانعة، إذ قال: "من قرأ تبارك الذي بيده الملك كل ليلة، منعه الله عز وجل بها من عذاب القبر، وكنَّا على عهد رسول الله ﷺ نسميها (المانعة)".[2]

ثالثاً: ما أثر عن التابعين ومن بعدهم من تسمية السورة وفضلها.

جاء عن التابعين ومن بعدهم بعض القصص والأقوال في فضل السورة، لا تخرج تسميتهم لها عمَّا سبق ذكره. من ذلك:

١- عن أبي عقيل زهرة بن معبد: أن ابن شهاب -أي الزهري- كان يقرأ في صلاة الصبح ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾ فإذا، وفي الآخر: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ فإذا[3]، فقلت: تقرأ هذه السورة الطويلة مع هذه السورة

---

[1] رواه الحاكم في المستدرك، رقم: (٣٨٣٩)، ٥٤٠/٢، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٠م). وقال: "صحيح الإسناد" ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، (الرياض: مكتبة المعارف، ط٥). ٩١/٢

[2] رواه النسائي في سننه، رقم (١٠٥٤٧)، ١٧٩/٦، أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن، تحقيق: د. عبد الغفار البداري، وسيد حسن، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٦م). وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، (الرياض: مطبعة المعارف، ط٥)، ١١٧/٢.

[3] [الإخلاص: ١].

القصيرة. قال ابن شهاب: "إن ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ فإذا ثلث القرآن، وإن ﴿تَبَٰرَكَ﴾ فإذا تخاصم لصاحبها في القبر"[1].

٢- ويقول ابن رجب الحنبلي: حدثني المحدِّث أبو الحجاج يوسف السَّرمدي، حدثنا شيخنا أبو الحسن عليّ بن الحسين السامري، - خطيب سامرا، وكان رجلاً صالحاً - وأراني موضعاً من قبور سامرا، فقال: هذا الموضع لا يزال يُسمع منه قراءة سورة (تبارك)[2].

ونخلص من هذا؛ أن التسمية المشهورة بسورة (الملك)، والمتداولة في أكثر طبعات المصاحف قديماً وحديثاً، وتلقتها الأمة بالقبول في كتب التفسير والسنة[3]؛ هي تسمية اجتهادية عن الصحابة ﷺ. فقد جاءت على لسان عبد الله بن مسعود ﷺ، وعلى لسان ابن عباس رضي الله عنهما في روايته لحديث الرجل الذي ضرب خباءه على قبر؛ ثم على لسان هذا الرجل الذي ضرب خباءه على قبر. وقد حكى لرسول الله ﷺ ذلك وذكر عنده هذا اللفظ فأقرَّه النبي ﷺ بالسكوت عليه، ثم عقب عليه ﷺ بوصفها أنها المانعة والمنجية. وعلى هذا نقول: إنه لم يرد

---

[1] رواه البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين، في شعب الإيمان، تحقيق: محمد السعيد زغلول، ٤٩٥/٢، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٠هـ).

[2] ابن رجب الحنبلي، أهوال القبور وأحوال أهلها إلى النشور، (بيروت: دار الكتاب العربي،ط٦، ١٩٩٩م)، ٧١/١.

[3] ومثاله ما بوَّبه الإمام الترمذي في سننه: باب ما جاء في فضل سورة الملك. يُنظر: جامع الترمذي، (الرياض: دار السلام للنشر والتوزيع، ط١، ١٩٩٩م)، ص٦٥٠.

اللفظ صريحاً على لسان النبي ﷺ، فلا يُعَدُّ من اسم السورة التوقيفي؛ وإن سمع هذا اللفظ من الرجل الذي سأله وأقرَّه على ذلك.

هذا من جانب، ومن جانب آخر: فلا إشكال أو تعارض في ذلك مع تسمية النبي ﷺ الصريحة للسورة بسورة (تبارك)، أو سورة (تبارك الذي بيده الملك)، لأنها تسمية أطلقت على جزء من الآية الأولى منها؛ وتسمية الصحابة ﷺ كانت من مجموع ما فهموه من أقوال النبي ﷺ وتقريره لاسم السورة. وكذا مما وصل إلى علم ابن مسعود ﷺ أنها في التوراة سورة (الملك). وهذا اللفظ هو ما ينسجم تماماً مع الوحدة الموضوعية للسورة، والتي سيبينها البحث لاحقاً .

المطلب الثاني :

سبب نزول سور (الملك)،والجو الذي نزلت فيه.

ذكر الإمام السيوطي في الدر المنثور[1] بأن السورة نزلت جملة واحدة. وهذا القول انفرد به السيوطي عن غيره من المفسرين مستدلاً برواية رافع بن خديج، وأبي هريرة رضي الله عنهما، أنهما سمعا رسول الله ﷺ يقول: " أنزلت علي سورة تبارك وهي ثلاثون آية جملة واحدة". بينما ذكر الإمام الواحدي (ت:٤٦٨هـ)، وغيره –وهم قليل[2]– سبب نزول آية واحدة فقط.

[1] السيوطي، الدر المنثور، ٢٣١/٨.

[2] كالإمام البغوي (ت:٥١٦هـ) في معالم التنزيل، ١٧٨/٨، والإمام ابن الجوزي (ت:٥٩٧هـ) في زاد المسير، ٥١/٦، والإمام الخازن (ت:٧٢٥هـ)، في لباب التأويل ١٢٣/٦.

وهي قوله تعالى:﴿وَأَسِرُّوا۟ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُوا۟ بِهِۦٓ ۖ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾[1] مستدلاً بما رواه ابن عباس رضي الله عنهما قال: نزلت في المشركين كانوا ينالون من رسول الله ﷺ، فخبَّره جبريل عليه السلام بما قالوا فيه ونالوا منه، فيقول بعضهم لبعض: أسروا قولكم لئلا يسمع إله محمد"[2].

أما أكثر المفسرين، فلم يذكروا لسورة (الملك) أو لبعض آياتها سبب نزول.[3]

ثبت أن عدد آيات سورة (الملك) ثلاثون آية[4]. وهي ليست السورة الوحيدة التي تحوي هذا العدد، فسورتا (السجدة والفجر) تشتركان بالعدد نفسه. وسورة (الملك) من السور المكيَّة بإجماع العلماء،[5] التي نزلت قبل هجرة النبي ﷺ إلى المدينة. ومن خصائص السور المكية؛ اهتمامها

---

[1] [الملك:١٣].

[2] الواحدي، أسباب النزول، ص٣٢٧، (بيروت: عالم الكتب).

[3] لم أجد أي رواية في سبب نزول السورة أو بعض آياتها في كتب الصحيح من أسباب النزول، ككتاب: الصحيح من أسباب النزول لعصام الحميدان، (بيروت: مؤسسة الريان، ط١، ١٩٩٩م).

[4] كما مرَّ معنا في الحديث الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه : "إن سورة في القرآن ثلاثين آية، ...."يراجع المطلب الأول: إثبات اسم سورة الملك.

[5] حكى الإجماع كل من: الإمام ابن عطية (ت:٥٤٢هـ) في المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ٢٠٠١م)، ٣٣٧/٥.

والإمام القرطبي (ت:٦٧١هـ) في الجامع لأحكام القرآن، ٢٠٥/٩، (د.ن).

بشؤون العقيدة، والدعوة إلى التوحيد، ومسائل الإيمان بالغيب: كالبعث والجزاء، والجنة والنار، والقيامة وأهوالها، وذكر قصص الأنبياء والأمم السابقة؛ للعظة والعبرة بمصير المكذبين للرسل. إضافة إلى مخاطبة الكفار والمشركين بالأدلة العقلية، والآيات الكونية، للاستدلال على فساد اعتقادهم، وما إلى ذلك[1]. إذ بيَّنت السورة الحال الذي كان عليه المشركون في مكة من تكذيب الرسول ﷺ وتمني هلاكه. والاستهزاء بأمور الغيب في تحديد وقت قيام الساعة، وغير ذلك. فنزلت السورة في مخاطبتهم، والرد عليهم، ومحاجتهم العقلية والواقعية، وتذكيرهم بمصير السابقين من الأمم. وكل ذلك عرضته السورة عن طريق بيان قدرة الله تعالى، وعظيم ملكه في خلقه في الدنيا والآخرة .

المطلب الثالث:

علاقة فضل سور (الملك) بموضوعاتها.

يتلخص فضل سورة (الملك)؛ في أنها السورة الوحيدة في كتاب الله تعالى التي وصفها النبي ﷺ بأنها المنجية من عذاب القبر. والسؤال هنا: ما الحكمة في تخصيص النبي ﷺ هذه السورة؛ دون غيرها من سور القرآن بهذا الفضل الفريد؟

[1] يُنظر: القطان، منَّاع، مباحث في علوم القرآن الكريم، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ٢٣، ١٩٩٨م)، ص٦٣.

تتضح الإجابة عن هذا السؤال؛ بالنظر إلى العلاقة الموضوعية والارتباط الوثيق بين هذا الفضل، والوحدة الموضوعية للسورة. ويمكن تلخيص هذا الترابط في العناصر الآتية :

- لمَّا كان موضوع السورة الأساس: إثبات ملك الله تعالى وقدرته على كل شيء، وكان قارئ السورة على الدوام في كل ليلة يُقِرُّ بهذه القدرة ويؤمن بها، عن طريق الإجابة عن الأسئلة الاستفهامية والإنكارية التي ملئت السورة بتقرير هذه القدرة، وحقيقة ذلك الملك، ويجدِّد العهد مع الخالق سبحانه والإيمان به، ويختم يومه وقد تعلَّق قلبه بخالقه، واتصل ضميره بموجده، وأوكل حياته ومماته إلى ربه؛ كان من رحمته جلَّ شأنه وعلت قدرته، أن صرف عنه عذاب القبر. فالجزاء من جنس العمل .
- ولمَّا كان العبد يُسأل في قبره عن ثلاثة: (الرب، والدين، والرسول)، جاءت السورة لتتحدث عن مضامين هذه الثلاثة، وموضوعها بين الإجمال والتفصيل؛ كما هو مبيَّن في تفسير السورة. فمن داوم على قراءة السورة وهو مؤمن بهذه الثلاثة؛ أعانه الله تعالى على الثبات عند السؤال عنها في قبره.
- ولمَّا علم قارئ السورة عظمة قدرة الله تعالى في وقوع العذاب على من كفر به؛ من الأمم السابقة في الدنيا والآخرة-كما تحدثت عنه السورة- ، وعلم أن للقبر أحوالاً وأهوالاً؛ أحسن الظن بالله تعالى أن يرفع عنه

عذابه. فاتصل به كل ليلة ليجدِّد الطلب مع الله، فكان له ما طلب. والله أعلم بالصواب .

المطلب الرابع :
الوَحدَة الموضوعية لسور (الملك)

إن كل سور القرآن الكريم وآياته، ابتداءً من سورة الفاتحة، وختاماً بسورة الناس، تكوِّن حلقة واحدة متصلة ومترابطة؛ موضوعها واحد، وحديثها واحد، ونسيجها واحد، ألا وهو الدعوة إلى توحيد الخالق سبحانه وتعالى، وإفراده بالعبودية الحقّة دون سواه. ثم بيان الصراط المستقيم، والطريق القويم للوصول إلى هذا الاعتقاد. وعلى أثر ذلك كان نبذ الشرك، والكفر، والنفاق وما سواه؛ لأنه طريق معوّج، منحرف عمّا أراده الله لعباده.

وقد جاء القرآن الكريم بأساليب عدة، وموضوعات متنوعة، لتقرير هذا المعنى، من خلال قصص القرآن الكريم، وأمثاله، وأقسامه، ووعده ووعيده، ... وكان لكل سورة من سور القرآن، وحدة موضوعية تصبُّ في هذا المعنى، وتتميَّز من غيرها بأدائها ومعطياتها، فكانت سورة (الملك) إحدى هذه السور، التي برزت فيها الوحدة الموضوعية. فالسورة من أوَّلها إلى آخرها تتحدَّث عن عظيم قدرة الله في خلقه، وإبداعه في الأنفس وفي الكون. لذا سميّت بسورة (المُلك)؛ لأنها تتحدَّث عن ملك الله تعالى وعلوه على خلقه، فهو مالك الدنيا والآخرة ومليكهما، وذلك عن طريق بيان أهم خصائص هذا الملك؛ وهي القدرة المطلقة. فالمُلك يستلزم القدرة، ومن لا قدرة له لا ملك له. لذا ابتدأت السورة بقوله تعالى:﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ

وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ فَإِذَا ، ثم تحدَّثت عن جملة من الدلائل الإلهية الحكيمة على عظيم ملكه وقوته، المصاحبة بالرحمة والبركة على الخلق، منها أنه تعالى :

١. خلَق الموت والحياة في جميع الخلائق. قال تعالى: هِيَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ ﴿٢﴾ فَإِذَا .

٢. خلَق السموات السبع وأتقن صنعهن. قال تعالى: هِيَ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗاۖ ﴿٣﴾ فَإِذَا .

٣. جعل الكواكب مصابيح في السماء الدنيا، وجعلها رجوماً للشياطين.

قال تعالى: هِيَ وَلَقَدۡ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلۡنَٰهَا رُجُومٗا لِّلشَّيَٰطِينِۖ وَأَعۡتَدۡنَا لَهُمۡ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ﴿٥﴾ فَإِذَا .

٤. خلق النَّار، وأعدَّها لأهل الضلال من الشياطين والكافرين.

قال تعالى: هِيَ وَلِلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ عَذَابُ جَهَنَّمَۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٦﴾ فَإِذَا .

٥. خلق الجنَّة، وأعدَّها لمن يخافه بالغيب من المؤمنين.

قال تعالى: هِيَ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ ﴿١٢﴾ فَإِذَا .

٦. أحاط علمه الواسع والدقيق بصغير الأمور وكبيرها، وسرها وجهرها.

قال تعالى: هِيَ وَأَسِرُّواْ قَوۡلَكُمۡ أَوِ ٱجۡهَرُواْ بِهِۦٓۖ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾ فَإِذَا ، وقال تعالى: هِيَ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءم بَصِيرٌ ﴿١٩﴾ فَإِذَا .

٧. خلق الأرض وذلَّلها للإنسان وأوجد فيها معايشه ورزقه.

قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾﴾ فَإِذَا .

٨. قلب خصائص الأرض من نعمة إلى نقمة؛ عذاباً للمتمردين الجاحدين. قال تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾﴾ فَإِذَا .

٩. أبقى الطيور سابحة في جو السماء باسطة أجنحتها وقابضة فلا تقع.

قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ وَيَقْبِضْنَ ۚ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُ ۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍۭ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾﴾ فَإِذَا .

١٠. بيده الرِّزق فإن منعه هلك الخلق.

قال تعالى: ﴿أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ ۚ بَل لَّجُّوا۟ فِى عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ﴿٢١﴾﴾ فَإِذَا

١١. أمدَّ البشر بأعظم الأجهزة: (السمع، البصر، العقل) ليميزهم عن غيرهم من المخلوقات. قال تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ فَإِذَا .

١٢. جمعَ الخلائق بعد بثهم وتفرقهم في الأرض.

قال تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ فَإِذَا .

١٣. عالم بالغيب، عنده علم الساعة، ووقتها، وقيامها.

قال تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِندَ اللَّهِ فَإِذَا .

١٤. بيده آجال العباد ومصيرهم.

قال تعالى: ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ اللَّهُ وَمَن مَّعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ فَإِذَا .

١٥. قادر على إخراج الماء من بطون الأرض ينابيع تجري.

قال تعالى: ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَاءٍ مَّعِينٍ ﴿٣٠﴾ فَإِذَا .

المطلب الخامس:

مناسبة سور (الملك) بما قبلها وما بعدها .

تقع سورة الملك بين سورتين؛ السابقة لها: سورة (التحريم)، وهي مدنية، وعدد آياتها: (١٢) اثنتا عشرة آية، والسورة اللاحقة: سورة (القلم)، وهي مكية، وعدد آياتها: (٥٢) ثنتان وخمسون آية.

والناظر في السور الثلاث يرى الترابط الموضوعي الجلي بينها، وذلك من عدة وجوه على النحو الآتي:

- الشخصية المشتركة في السور الثلاث هو النبي ﷺ. ففي سورة (التحريم) كان الحديث عن بيت النبوة، وفي سورة (الملك) ذكرت

الآيات شيئاً من مواجهة دعوة النبي ﷺ وموقف النبي ﷺ منها، وكذا في سورة (القلم) جاء الحديث عن إثارة الشبهات حول نبوة محمد ﷺ.

- تحدثت السور الثلاث عن خُلق النبي ﷺ. ففي سورة (التحريم)، تحدَّثت عن أخلاقه ﷺ مع زوجاته حال الخلافات الزوجية. وفي سورة (الملك) أشارت الآيات إلى خلقه ﷺ مع أعدائه إذا تمنوا له وللمؤمنين الهلاك والموت. وفي سورة (القلم) زكَّى الله تعالى خُلق ﷺ ووصفه بالعظيم، مع تفنيد الشبهات التي أثيرت حوله؛ كشبهة الجنون.
- ذكرت السور الثلاث؛ المقابلة بين الوعيد للكافرين المنكرين لدعوة الله ورسوله، وبين وعد الله للمؤمنين المستجيبين لله ولرسوله.

ففي سورة (التحريم). قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَعۡتَذِرُواْ ٱلۡيَوۡمَۖ إِنَّمَا تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٧ ﴾ فَإِذَا قابل ذلك بما وعد الله المؤمنين، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيُدۡخِلَكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ يَوۡمَ لَا يُخۡزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥۖ نُورُهُمۡ يَسۡعَىٰ بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتۡمِمۡ لَنَا نُورَنَا وَٱغۡفِرۡ لَنَآۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٨ ﴾ فَإِذَا

وفي سورة (الملك). قال تعالى: ﴿ وَلِلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ عَذَابُ جَهَنَّمَۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ٦ ﴾ فَإِذَا وحتى الآية الحادية عشرة، ثم تبع هذه الآيات بمقابلة صورة المؤمنين الذين يخشون ربهم بالغيب. قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ

يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾ فَإِذَا .

وفي سورة (القلم). قال تعالى: ﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٣٤﴾ فَإِذَا قابل ذلك بقوله: ﴿ أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ فَإِذَا وحتى قوله تعالى: ﴿ فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ فَإِذَا .

- ضرب الأمثال واضح في السور الثلاث:

ففي آخر سورة (التحريم)؛ ضرب الله مثلاً للذين كفروا امرأة نوح، وامرأة لوط؛ كانتا كافرتين في عصمة رجلين صالحين من الأنبياء، وضرب الله مثلاً للذين آمنوا امرأة فرعون؛ كانت مؤمنة في عصمة رجل كافر فاجر، ثم ضرب مثلاً للمرأة المؤمنة الطائعة لأمر ربها؛ مريم بنت عمران. وفي سورة (الملك)؛ ضرب الله مثلاً للكافر والمؤمن في تشبيه حسي بليغ في قوله تعالى: ﴿ أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾ فَإِذَا . وفي سورة (القلم)، قال تعالى: ﴿ أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ فَإِذَا ، وهذا (تشبيه مقلوب يجعل المشبه به مشبهاً والعكس! لأن الأصل: أفنجعل المجرمين كالمسلمين في الأجر والمثوبة؟ فقلب التشبيه ليكون أبلغ وأروع).[1]

[1] الصابوني، محمد علي، صفوة التفاسير، (بيروت: المكتبة العصرية، د. ط، ٢٠٠٦م)، ٣/ ٤٠٧.

أما فيما يتعلق بمناسبة سورة الملك بما قبلها وما بعدها، فعلى النحو الآتي :

أولاً: مناسبة سورة الملك بما قبلها من سورة (التحريم).

يقول الإمام أحمد بن الزبير (ت:٧٠٨هـ): " ورود ما افتتحت به هذه السورة من التنزيه و صفات التعالي إنما يكون عقب تفصيل وإيراد عجائب من صنعه سبحانه، كورود قوله تعالى: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾[1]، عقب تفصيل التقلب الإنساني، من لدن خلقه من سلالة من طين إلى إنشائه خلقاً آخر، وكذا كان ما ورد من هذا ما لم يرد في أثناء آي قد جردت للتنزيه والإعلام بصفات التعالي والجلال . ولما كان قد وقع في آخر سورة (التحريم) ما فيه أعظم عبرة لمن تذكر، وأعلى آية لمن استبصر، من ذكر امرأتين كانتا تحت عبدين صالحين ....، ثم أعقبت هذه القصة بما جعل في طرف منها ونقيض من حالها ، وهو ذكر امرأة فرعون التي لم يضرها مرتكب صاحبها وعظيم جراءته....، ثم أعقب ذلك بقصة عرّيت عن مثل هذين السببين، وانفصلت في مقدماتها عن تينك القصتين، وهو ذكر مريم ابنة عمران، ليعلم العاقل حيث يضع الأسباب، وأن القلوب بيد العزيز الوهاب، أعقب تعالى ذلك بقوله الحق: ﴿تَبَارَكَ

[1] [المؤمنون: ١٤]

ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ فَإِذَا ، وإذا كان الملك بيده سبحانه فهو الذي يؤتي الملك والفضل من يشاء، وينزعه ممن يشاء، ويعز من يشاء، ويذل من يشاء، كما صرحت به الآية الأخرى في آل عمران[1] ، فقد اتضح اتصال سورة (الملك) بما قبلها، ثم بُنيت سورة (الملك) على التنبيه والاعتبار ببسط الدلائل ونصب البراهين حسبما يبسط في التفسير ."[2]

ووجه آخر للمناسبة بين (الملك والتحريم)، وهو " أنه –تعالى– لما ضرب مثلاً للكفار بتينك المرأتين المحتوم لهما بالشقاوة؛ وإن كانتا تحت نبيين، ومثلاً للمؤمنين بآسية ومريم، وهما محتوم لهما بالجنة، وإن كان قومهما كافرين، كان ذلك تصرفاً في ملكه على ما سبق به قضاؤه".[3]

ثم سبحانه ذكر في آخر سورة (التحريم) من الذين أحسنوا العمل امرأة فرعون، ومريم ابنة عمران. ومن الذين أساؤوا العمل امرأة نوح، وامرأة لوط . وذكر في أول سورة (الملك) أنه سبحانه خلق الموت والحياة

---

[1] إشارة إلى قوله تعالى: قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ فَإِذَا [عمران: ٢٦]

[2] ابن الزبير، أحمد بن إبراهيم، البرهان في تناسب سور القرآن، تحقيق: د. سعيد بن جمعة الفلاَّح، (الدمام: دار ابن الجوزي، ط٢، ١٤٣١هـ)، ص١٩٠.

[3] أبو حيان، محمد بن يوسف، البحر المحيط، تحقيق: عادل أحمد عبد الجواد وجماعة، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٣م)، ٢٩١/٨.

ليبلوا المكلفين أيهم أحسن عملاً، فقال :﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ۝٢﴾ فإذا فذكر في آخر (التحريم) قسماً ممن بلاهم أيهم أحسن عملاً، فأساء بعض، وأحسن بعض . فكان ما في (التحريم) مثالاً لما ذكر في سورة (الملك).[1]

وكذا ذكر في سورة (التحريم) جزاء من أساء، ومن أحسن، فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَعْتَذِرُوا۟ ٱلْيَوْمَ ۖ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٧﴾ فإذا وقال فيمن أحسن: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝٨﴾ فإذا، وكذلك ذكر في سورة (الملك) جزاء الكافرين والمؤمنين، فقال: ﴿ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ۝٦ إِذَآ أُلْقُوا۟ فِيهَا سَمِعُوا۟ لَهَا شَهِيقًا وَهِىَ تَفُورُ ۝٧﴾ فإذا وقال في الذين يخشون ربهم: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ۝١٢﴾ فإذا)).[2]

---

[1] السامرائي، د. فاضل صالح، التناسب بين السور في المفتتح والخواتيم، (الدمام: دار ابن الجوزي، ط١، ١٤٣٢هـ)، ص١٦٢.

[2] السامرائي، المرجع السابق نفسه.

ثانياً: مناسبة سورة الملك بما بعدها من سورة القلم.

يقول ابن الزبير: " فلعظيم ما انطوت عليه سورة (الملك) من البراهين أتبعت بتنزيه الآتي بها ﷺ عما تقوّله المبطلون ، مقسماً على ذلك زيادة في التعظيم وتأكيداً في التميّز والتكريم، فقال تعالى: ﴿ن وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ۝١ مَآ أَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ بِمَجۡنُونٖ ۝٢﴾ وأنّى يصح من مجنون أن يتصور تلك البراهين، وقد انقطعت دونها أنظار العقلاء؟ فكيف ببسطها وإيضاحها في نسق موجز، ونظم معجز، وتلاؤم حيَّر العقول، وعبارة تفوق كل قول، تُعرف و لا تدرك، ويستوضح سبيلها، و لا يسلك ؟ ﴿قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ﴾ فإذا ."[1] ".[2]

وجاء في البحر المحيط: ((مناسبتها لما قبلها أنه فيما قبلها ذكر أشياء من أحوال السعداء والأشقياء، وذكر قدرته الباهرة وعلمه الواسع، وأنه تعالى لو شاء لخسف بهم أو لأرسل عليهم حاصباً، وكان ما أخبر تعالى به هو ما تلقفه رسول الله ﷺ بالوحي، وكان الكفار ينسبونه مرة إلى الشعر، ومرة إلى السحر ومرة إلى الجنون، فبدأ ﷻ هذه السورة ببراءته مما كانوا ينسبونه إليه من الجنون، وتعظيم أجره على صبره على أذاهم، وبالثناء على خلقه العظيم)).[3]

---

[1] [الإسراء:٨٨].

[2] ابن الزبير، البرهان في تناسب سور القرآن، ص١٩٣.

[3] أبو حيان، البحر المحيط، ٣٠١/٨.

وقال سبحانه في أواخر سورة (الملك): ﴿ قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٩﴾ فَإِذَا ، وقال في أوَّل سورة (القلم): ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ فَإِذَا وقال: ﴿ فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ﴿٥﴾ بِأَيِّيكُمُ ٱلْمَفْتُونُ ﴿٦﴾ فَإِذَا .فالمناسبة ظاهرة بينهما. [1]

ومن لطائف المناسبات بين السورتين ما ذكره الإمام البقاعي بأن سورة (الملك) انتهت بحرف النون من كلمة (معين) من الآية الأخيرة، وسورة (القلم) ابتدأت بنفس الحرف من الآية الأولى: (ن). [2]

[1] السامرائي ، التناسب بين السور، ص١٦٣.

[2] ينظر: البقاعي، نظم الدرر، ٢٠/٢٧٤. (بتصرف)

المبحث الثاني: التفسير الموضوعي لسورة (الملك).

المطلب الأول:

افتتاح السورة بالقدرة المطلقة على ملك الله تعالى .

قال تعالى : ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١ فَإِذَا﴾

افتتح الله سبحانه وتعالى السورة بتقرير ثلاث حقائق:

الحقيقة الأولى : أن الملك الحقيقي الذي لا يزول هو ملك الله تعالى، فلفظ (الملك على الإطلاق هو الذي لا يبيد ولا يختل منه شيء، وذلك هو ملك الله تعالى)[1] وتقديم المسند (بيده) على المسند إليه (الملك) لإفادة أن الملك بيده لا بيد غيره، وفي هذا عناية واهتمام بأمر الملك الذي بيد الله وحده لا شريك له، وتعريف الملك بأل، يدل على شمول جميع أفراد الجنس فهي للاستغراق.[2] وقد جاء تقرير هذا الملك وذكره في مواضع كثيرة في القرآن الكريم[3]، منها:

---

[1] ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ٢٠٠١م)، ٣٣٧/٥.

[2] عائشة فريد، من بلاغة سورة الملك، ص٣٤.

[3] يزيد عددها عن أربعين موضعاً، راجع: عبد الباقي، محمد فؤاد، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، مادة: (م ل ك)، (بيروت: دار الفكر،١٩٨٧م)، ص٦٧٤.

قوله تعالى: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٢٦﴾ ﴾ فَإِذَا .[1]

وقوله تعالى: ﴿ وَتَبَارَكَ ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَاۖ وَعِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾ فَإِذَا .[2]

وقوله تعالى: ﴿ فَسُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾ فَإِذَا .[3]

والحقيقة الثانية : أن هذا المُلك ليس قهرياً أو مستبِداً، وإنما هو مُلك يلازمه البركة والخير الذي يفيض به على المملوكات والخلق. لذا بدأ سبحانه السورة بفعل ﴿ تَبَٰرَكَ ﴾ فَإِذَا ، (وفعل تبارك يدل على المبالغة في وفرة الخير، وهو في مقام الثناء يقتضي العموم بالقرينة، أن يفيد أن كل وفرة من الكمال ثابتة لله تعالى بحيث لا يتخلف نوع منها عن أن يكون صفة له تعالى).[4]

والحقيقة الثالثة: بيان أهم خصائص هذا الملك؛ وهي القدرة المطلقة، قال تعالى: ﴿ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾ فَإِذَا ، (أي: بليغ القدرة لا يعجزه شيء من الأشياء ، يتصرف في ملكه كيف يريد من إنعام وانتقام ورفع ووضع

---

[1] [آل عمران: ٢٦]
[2] [الزخرف: ٨٥]
[3] [يس: ٨٣]
[4] ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٩/٢٩.

وإعطاء ومنع)[1]. فالمُلك يستلزم القدرة، ومن لا قدرة له لا ملك له. ألا ترى محاجَّة إبراهيم عليه السلام، لمَلِك بابل (نمرود بن كنعان)،[2] وكيف أفحمه وأظهر عجزه في ملكه الزائل! وقد انتفت عنه القدرة. قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ ﴿٢٥٨﴾ فَإِذَا ، فلم يشكر نعمة ربه، وكفر وتجبَّر، واعتقد أن بيده الأمر كله، والتصرف، والقدرة المطلقة. ﴿ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا فاعتقد الملِك بعقله القاصر أن قضية الإحياء والإماتة تتمثَّل في الحكم على إنسان سجين قد يأمر بقتله، أو يفك أسره، فـ ﴿ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ فَإِذَا ، فسأله إبراهيم عليه السلام بما لا يطيقه، ليدل على ملكه الحقيقي إن صدق ﴿ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَإِذَا ، فوقف الملك عاجزاً مدحوراً، متصفاً بالنقص والقصور ﴿ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ فَإِذَا [3]. فما أحوج البشرية اليوم أن تعلم هذه الحقيقة – حقيقة ملك الله –

---

[1] الشوكاني، محمد بن علي، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، (بيروت: دار المعارف، د.ط)، ٥/٢٥٨.

[2] يقول مجاهد: ملك الدنيا مشارقها ومغاربها أربعة: مؤمنان وكافران، فالمؤمنان: سليمان بن داود، وذو القرنين، والكافران: نمرود وبختنصر.
يُنظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ١/٣٢٠.

[3] [البقرة: ٢٥٨].

وتربط على هذا الاعتقاد، وترتقي بإيمانها بربها من التمجيد، والتعظيم، والتقديس له سبحانه دون سواه، فتُفرِده بالعبادة، والقدرة، والملك.

وفي افتتاح السورة ومطلعها ببيان ملك الله تعالى، وتصريف قدرته على كل شيء، براعة استهلال، وإجمال بعده تفصيل، وعموم بعده تخصيص، فكان في الآيات التاليات أمثلة على بعض هذا الملك الذي لا ينافسه فيه أحد من خلقه؛ من ملوك الإنس والجن، ولا يقدرون على الإتيان به، ابتداءً من خلق الموت والحياة، وخلق السموات السبع وإتقانهن، وجعل النجوم زينة ورجوماً للشياطين، وخلق الجنة والنار، وإحاطة علمه الدقيق، وتذليل الأرض للمعايش، وقلب خصائصها من نعمة إلى نقمة! وإبقاء الطيور سابحة في جو السماء، وإمداد البشر بأجهزة السمع والبصر والفؤاد، وعلمه للغيب، وآجال العباد....، وانتهاءً بإيجاد الماء الذي تبدأ به الحياة وبه تنعدم، ومن هنا نرى أن محور السورة كلها يتمثل في مطلعها، فمدلوله يشمل موضوعاتها وصورها وما جاء فيها.

المطلب الثاني :

قدرة الله تعالى في الأنفس والكون.

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾ وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ﴿٥﴾ وَلِلَّذِينَ﴾.

بعد الاستهلال في مطلع السورة بتقرير ملك الله المطلق وقدرته المهيمنة على كل شيء؛ شرع سبحانه في ذكر بعض الأدلة على عظيم قدرته، وحكيم صنعه الذي هو فوق طاقات البشر وإمكاناتهم، إذ بيَّت الآيات ثلاثة أدلة على قدرته تعالى في الأنفس والكون، على النحو الآتي:

الدليل الأول : في الأنفس. قال تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ﴾ فَإِذَا أي: أوجد الخلائق من العدم، وأنعم عليهم بالحياة بعدها، فعلام يكفرون به!! وقد ذكر الله هذا الموقف بصيغة الاستفهام الإنكاري في سورة البقرة، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ﴾ فَإِذَا [1]، فسمَّى الحال الأول – وهو العدم – موتاً، وسمَّى هذه النشأة حياة، ولهذا قال: ﴿لَّجُّوا۟ فِى عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ﴿٢١﴾ أَفَمَن يَمْشِى﴾ فَإِذَا [2]. [3]

(وبين الموت والحياة طباق أثار الشعور بالمتضادين، فجعل الذهن يبحث عن المعاني والأفكار، وفي ذلك تداعٍ للمعاني حين تنتقل النفس من النقيض إلى النقيض، ومن الضد إلى الضد، فتتضح المعاني وتتمكن في النفس، لأنها تقرن بأضدادها، إذ الضد أقرب خطوراً بالبال عند ذكر ضده، والضد يبرز حسنه الضد). [4]

---

[1] [البقرة: ٢٨].

[2] [البقرة: ٢٨].

[3] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٤٢٢/٤، (بتصرف).

[4] عائشة فريد، من بلاغة سورة الملك، ص٣٥.

ثم بيّن سبحانه وتعالى الحكمة من خلق الموت والحياة، للاختبار والامتحان والبلاء، فقال: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ فإذا. يقول الإمام القرطبي: "قدّم الموت على الحياة، لأن أقوى الناس داعياً إلى العمل من نصب موته بين عينيه".[1] وهذا حق، فمن نصب الدنيا بين عينيه، واعتقد أنه سيعيش ألف سنة، وسعى لها، خاب وخسر؛ لأن الغفلة طبعت على قلبه، ونسي الآخرة؛ دار الحياة الحقيقية. لذا قال تعالى: ﴿أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ فإذا أي: خيره وأفضله، (ولم يقل: أكثر عملاً).[2] فالعبرة بالكيف لا بالكم! وفي الآية إشارة إلى معنى جميل؛ وهو الإخلاص في الأعمال وحسن النية، قال ﷺ: "إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى"[3]. فعمل بلا إخلاص وصفاء نية؛ رياء وسمعة. وفي الآية دعوة إلى التنافس على العبادة، والتسابق في الخيرات.

وتختم الآية باسمين من أسماء الله يناسب معنى الآية ودلالاتها: ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾ فإذا عزيز في انتقامه ممن عصاه، غفور لمن تاب إليه وأناب.

الدليل الثاني على القدرة الإلهية: في الكون. وهو خلق السماوات السبع، قال تعالى:

---

[1] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ٢٠٦/٩.

[2] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٤٢٢/٤.

[3] صحيح البخاري، كتاب: بدء الوحي، باب: كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ حديث رقم: (١)، (الرياض: مكتبة دار السلام، ط٢، ١٩٩٩م)، ص١.

هِيَ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗاۖ فَإِذَا . ينتقل الخطاب الإلهي بالإنسان من النظر في العالم الأرضي (الموت والحياة)، إلى عالم الكون الفسيح (السموات) أي من القريب المرئي بتفاصيله إلى البعيد الذي لا ترى نهايته وتفاصيله كما هو. وفي هذا حثٌّ على التدبُّر والتفكُّر في إبداع الصانع سبحانه في خلقه، وقد بيّن هنا سبحانه حقيقة علميَّة في خلق السموات لم يتوصل إليها علماء التِقنية المعاصرة، إذ انتهوا في علومهم إلى السماء الدنيا، أما هذه فهي سبع سموات طباقاً بعضها فوق بعض، كل طبقة لها خصائصها ومكوناتها كاملة، لا يعتريها نقص أو خلل هِيَ مَّا تَرَىٰ فِي خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٖۖ فَإِذَا [1]. فصنع الله تام، لا اعوجاج فيه، ولا تناقض، ولا تباين، بخلاف مصنوعات البشر ومخترعاتهم، فالنقص والخلل والعيب يعتريها. لذا أمر سبحانه وتعالى بإعادة النظر والتدبر في خلق هذه السموات على اتساعها وامتدادها، بعد ما حصلت النظرة الأولى هِيَ مَّا تَرَىٰ فَإِذَا فقال: هِيَ فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ فَإِذَا ، وتأمَّل بدقة أكثر هِيَ هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٖ فَإِذَا أي بعض صفات العيوب من شقوق وصدوع وخروق؟ الجواب: لا! إلاَّ أن هذا الجواب قد يكون على وجه السرعة وعدم التدقيق هِيَ ثُمَّ ٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ كَرَّتَيۡنِ فَإِذَا أعد النظر مرات ومرات، لا على سبيل التحديد بالعدد، عندها سترى أن

[1] وقرأ ابن مسعود وأصحابه وحمزة والكسائي "تفوّتٍ" مشدداً بدون ألف، وفيه زيادة للمعنى. يُنظر: الشوكاني، فتح القدير، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٤م). ٣٢١/٥.

النتيجة الحتمية ﴿يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ فَإِذَا ذليلاً صاغراً منقطعاً من الإعياء وكثرة التكرار بالنظر. فسبحان الله الذي أتقن صنع كل شيء.

وهذا التحدي -بإتقان الصنع - قائم إلى يوم القيامة، بكل ما يملكه الإنسان من الآلات الحديثة والمتطورة للنظر والفحص والاختبار، فلن يجد إلاّ المعجزة الإلهية، والإبداع الربَّاني في خلق السموات.

الدليل الثالث على القدرة الإلهية : في الكون. وهو ما أودع الله من حقائق في سماء واحدة من هذه السموات السبع، وهي السماء الدنيا، القريبة من سطح الأرض لعَين الإنسان، لتوجيه النظر للتفكر والاعتبار، حيث قال: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ﴾ فَإِذَا ، أي بالكواكب المضيئة كالمصابيح.

فبيّن سبحانه بعد خلق السموات وخلوِّها من العيب والخلل؛ أنه زيّنها بهذه الزينة، فصارت في أحسن خلق، وأكمل صورة، وأبهج شكل[1].

ثم جعل الله تعالى من وظائف هذه المصابيح- ومنها الشهب - إضافة على أنها زينة للسماء، فإنها تتّبع الشياطين الذين يسترقون السمع منها بالرجم والرمي، فقال: ﴿وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ﴾ فَإِذَا ، وأكَّد هذه الوظيفة في آيات أخرى متفرقة، ففي سورة الصافات قال تعالى: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ۝٦ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ۝٧ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ

[1] الشوكاني، فتح القدير، ٣٢٢/٥، (بتصرف).

ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ﴿٨﴾ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴿٩﴾ إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴿١٠﴾ فَإِذَا [1] وقال في سورة الجن: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْآنَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا فَإِذَا.[2] أمَّا الوظيفة الثالثة للنجوم، فهي علامات يُهتدى بها على الطريق، ومعرفة الاتجاهات الجغرافية، قال تعالى: ﴿وَعَلَٰمَٰتٍ ۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ فَإِذَا.[3] قال قتادة السدوسي: "إنما خلقت هذه النجوم لثلاث خصال: خلقها زينة للسماء، ورجوماً للشياطين، وعلامات يهتدى بها..."[4]، وهذا ما أعدَّه الله للشياطين من رجم في الدنيا، أما في الآخرة فأشد الحريق يُسعَّرون به، وهو قوله تعالى: ﴿وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ فَإِذَا [5].

إن لمناسبة ذكر الشياطين في معرض الحديث عن دلائل القدرة الإلهية؛ فائدتين:

- إظهار قدرة الله، وشمول علمه بأمور الغيب، إذ كشف أمر الشياطين في استراقهم السمع، فرجمهم.

---

[1] [الصافات: ٦-١٠].

[2] : [الجن: ٨-٩].

[3] [النحل:١٦].

[4] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٤/٤٢٣.

[5] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ٩/ ١١.

- وأنه لما كان الشياطين من أسباب غواية العباد، وإفسادهم، وصرفهم عن أحسن العمل وأخلصه، ذكرهم هنا، وهذا متعلق بقوله تعالى: ﴿أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ فإذا .

المطلب الثالث :

خلق النار وحال أهلها دليل على قدرة المالك سبحانه وتعالى.

قال تعالى: ﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ۝٦ إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ ۝٧ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ۝٨ قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ۝٩ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ۝١٠ فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَابِ السَّعِيرِ ۝١١﴾ فإذا .

ينتقل السياق القرآني من بيان بعض دلائل القدرة الإلهية في الدنيا من خلق الموت والحياة، وخلق السموات السبع، وبيان لبعض وظائفها، إلى الحديث عن بعض دلائل قدرته سبحانه في الآخرة، حيث خَلَقَ النَّار وأعدَّها لمن كفر به، وكذّب برسله، وانحرف عن المنهج والفطرة السوية التي خُلق عليها، وذلك في صورة رائعة ومشهد عجيب، يصف فيه إقرار الإنسان على نفسه واعترافه بكفره وغيّه، يوم لا ينفعه ذلك، فهو في دار الجزاء والعقاب . وكان قد أخذ فرصته في دار الامتحان؛ فقال تعالى:

﴿ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ ومعنى جهنَّم أي: بعيدة القعر[1] – أعاذنا الله منها– فلهم عذاب شديد في قعر النار. وهذا الجزاء بئس المآل والمنقلب[2] ﴿ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ الذي يكون منتهاهم إليه يوم القيامة.

ثم تبدأ الآيات في تشخيص صورة حسيَّة من العذاب، إذ يؤخذ هؤلاء الكفرة، ويطرحون في جهنَّم كما يطرح الحطب في النار: ﴿ إِذَا أُلْقُوا فِيهَا ﴾ ، عندها تُصدر جهنَّم صوتاً مزعجاً قبيحاً كصوت الحمير، عند أوَّل نهيقها، وهو الشهيق: ﴿ سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا ﴾. وقيل: الشهيق من الكفار عند إلقائهم في النار. ثم تغلي هذه النار بهم كما يغلي المَرجَل، أي: القِدر. قال مجاهد: "تفور بهم كما يفور الحب القليل في الماء الكثير"[3]. وهو قوله تعالى: ﴿ وَهِيَ تَفُورُ ﴾ ومن شدة غيظها وغضبها على الكفار، يكاد ينفصل، ويتقطع بعضها من بعض ﴿ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ ﴾ ، وهذه الحال مع كل جماعة تلقى في النار.

ثم تبدأ حقيقة الاعتراف بتكذيبهم الرسل الذين أنذروهم بالعذاب في هذا اليوم الموعود، ويبدأ الحوار مع خزنة جهنَّم من الملائكة فيسألونهم

---

[1] الفيروزآبادي، القاموس المحيط، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٩٨٧م)، ص ١٤٠٩.

[2] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (٤/٤٢٣).

[3] رواه هناد بن السري في الزهد، (رقم٣١٣) بإسناد صحيح، تحقيق عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي،(الكويت: دار الخلفاء للكتاب الإسلامي، ط١، ١٤٠٦هـ). ١/ ١٩٤

سؤال توبيخ وتقريع، وهم الزبانية، وعددهم تسعة عشر ملكاً: ﴿كُلَّمَآ أُلۡقِيَ فِيهَا فَوۡجٞ سَأَلَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَذِيرٞ فَإِذَا﴾ فيجيبون: ﴿قَالُواْ بَلَىٰ قَدۡ جَآءَنَا نَذِيرٞ فَإِذَا﴾ من الرسل فلم نعطِ لعقولنا صياغة تفكير ومهلة للتدبر لما يقولون وينذرون به ﴿فَكَذَّبۡنَا وَقُلۡنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٍ فَإِذَا﴾ وقلنا للرسل: ﴿إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ كَبِيرٖ فَإِذَا﴾.

وفي الآية إشارة إلى كمال عدله سبحانه في خلقه، وأنه لا يعذب أحداً إلاّ بعد إرسال الرسل إليه وقيام الحجة عليه كما قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولٗا فَإِذَا﴾ [1] وقال تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَتۡلُونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ رَبِّكُمۡ وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنۡ حَقَّتۡ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ٧١ فَإِذَا﴾ [2] [3].

ثم تُصوِّر الآيات حالة الندامة والملامة لأنفسهم يوم لا ينفع النَّدم، وقد صاروا من أصحاب النار، وقُضي الأمر: ﴿وَقَالُواْ لَوۡ كُنَّا نَسۡمَعُ أَوۡ

---

[1] [الإسراء:١٥].

[2] [الزمر: ٧١].

[3] يُنظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٤٢٣/٤، والقرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ٢١٢/٩، والشوكاني: فتح القدير، ٣٢٣/٥، وأبو بكر الجزائري، أيسر التفاسير، ٥٢١/٤ (بتصرف). (دون ناشر، ط٢، ١٩٨٧م).

نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ فَإِذَا ، أي: في عِداد أهل النار مع الشياطين. وذلك لأنهم ألغوا أكبر نعمة وهبها الله للإنسان، وميَّزه بها من غيره من المخلوقات، ألا وهي نعمة الإدراك والعقل، فآذانهم في الدنيا صمَّاء، وعقولهم ظلماء، لم يُوظِّفوها كما أمر الله في معرفة الحق وطريق الهداية إليه، فكانوا كالأنعام بل هم أضل، كما قال تعالى في وصفهم: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ فَإِذَا،[1] وكان جزاء اعترافهم بكفرهم أن أبعدهم الله من رحمته، وسحقهم في سعير النار: ﴿فَٱعْتَرَفُوا۟ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ فَإِذَا .

وفي قوله تعالى ﴿لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ فَإِذَا إشارة إلى أن الإنسان قليل الشكر لله بهذه النعم، وهذا ما قرَّره سبحانه في أواخر السورة حيث قال: ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ فَإِذَا .[2] وقال في مواضع

[1] [الأعراف: ١٧٩]

[2] [الملك: ٢٣].

أخرى من القرآن: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ فَإِذَا ﴾[1] وقوله: ﴿ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ فَإِذَا ﴾[2].

[1] [المؤمنون: ٧٨].

[2] [السجدة: ٩].

المطلب الرابع:

من دلائل قدرة الله تعالى؛ علمه الدقيق بالخلق.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ ﴿١٢﴾ وَأَسِرُّواْ قَوۡلَكُمۡ أَوِ ٱجۡهَرُواْ بِهِۦٓۖ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ﴿١٤﴾ فَإِذَا

ويتابع السياق القرآني في بيان دليل آخر من دلائل قدرة الله تعالى على ملكه في هذه السورة، إذ توضِّح الآيات علم الله تعالى الدقيق بأمور خلقه في أمرين:

الأول : أنه يعلم من يخافه بالغيب بصدق وإخلاص. وتوضحه الآية رقم(١٢).

الأمر الثاني : أنه يعلم ظاهر أقوال عباده وباطنها، سرَّها وجهرها، وتوضحه الآية رقم (١٣).

لذا أعقب الآيتين بقوله: ﴿أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ﴿١٤﴾ فَإِذَا .

إن من أساليب القرآن الكريم وبلاغته في هداية البشر؛ استعمال الطباق في الآيات: وهو عرض صورتين متقابلتين بين أمرين متضادين، ليميِّز العقل بين ما ينفعه وما لا ينفعه؛ فوعدٌ بالجنان يقابله وعيدٌ بالنيران، وذكر أهل الجنة يقابله ذكر أهل النار، وترغيب يقابله ترهيب، والحسنات تقابلها السيئات، والعقوبة تقابلها المغفرة، وذلك في معظم آيات القرآن ومقاطعه.

وفي هذه الآيات مثل لذلك؛ فبعد أن ذكر الله تعالى شأن أهل النار من الكافرين الجاحدين، أعقبهم بذكر صفة من صفات أهل الجنة من المؤمنين المتقين، وهي مراقبة أعمالهم وعبادتهم لربهم بالغيب، وكأنه معهم، وهذا هو مقام الإحسان. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِۖ﴾ ، فهم يؤمنون بالغيب ابتداءً، فيخافون عقابه الأخروي، وهم لا يرونه، ويصدقون بكل ما أخبر الله به في كتابه. وهذه الصفة أي صفة المراقبة لله في ظهر الغيب، وعبادته في السر تُعدُّ منْزلةً رفيعةَ الأجر، وهي ثقيلة على النفس أن تداوم عليها وتلتزم بها؛ لأن الشيطان يترقبها كي يصرفها عن مقام الطاعة والإحسان، فمن حَبَسَ نفسه، وأطاع ربه بالغيب، كان جزاؤه جزاءً موفوراً: ﴿لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ﴾ . ونظير هذا المعنى قوله تعالى: ﴿وَلِمَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ٤٦﴾ ،[1] وقوله: ﴿مَّنۡ خَشِيَ ٱلرَّحۡمَٰنَ بِٱلۡغَيۡبِ وَجَآءَ بِقَلۡبٖ مُّنِيبٍ ٣٣﴾[2] .

فأوَّل أعطيات الله هو حصول المغفرة العظيمة للذنوب، فإذا تطَّهر المؤمن من ذنوبه كان له العطاء الأكبر، وهو الفوز بالجنة، وهو معنى الأجر الكبير كما ذهب إليه المفسرون.

ثم يلفت الله تعالى نظر عباده إلى سعة علمه، ودقة إحاطته بما في النفس البشرية: ﴿وَأَسِرُّواْ قَوۡلَكُمۡ أَوِ ٱجۡهَرُواْ بِهِۦٓۖ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ ، وذلك

[1] [الرحمن: ٤٦].

[2] [ق: ٣٣].

لتعلم النفس أن الله مطلّع عليها، ويعلم خباياها، ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ [1]، فلا مجال للمراوغة والخداع، فخالق النَّفس أعلم بها منها: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ فإذا .(أي الذي لطف علمه بما في القلوب، الخبير بما تسرّه وتضمره من الأمور).[2] فمن أسماء صفات الذات ما هو للعلم؛ ومنها (الخبير)، ويختص بأن يعلم ما يكون قبل أن يكون".[3]

المطلب الخامس :

تذليل الأرض وقلب خصائصها على المكذبين دليل على القدرة الإلهية.

قال تعالى : ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾ ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿١٨﴾ فَإِذَا .

---

[1] [ق: ١٦].

[2] الشوكاني، فتح القدير، ٥/٣٢٥.

[3] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ٩/٢١٤. (بتصرف).

تتابع الأدلة والبراهين على بيان قدرة الله تعالى في خلق الأرض، وذلك ضمن سياق الخطاب القرآني للكافرين الجاحدين للرسالة المحمدية، فقد بيّنت الآيات دليلين خاصَين بالأرض :

الدليل الأول: جعل الأرض ممهدة سهلة، تهيئةً للعباد في تيسير مهمة طلب الرِّزق فيها. قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا﴾ ، أي: (جعلها قارّة ساكنة، لا تميد ولا تضطرب، بما جعل فيها من الجبال، وأنبع فيها من العيون، وسلك فيها من السبل، وهيَّأ فيها من المنافع ومواضع الزروع والثمار، فقال: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا﴾ ، أي: فسافروا حيث شئتم من أقطارها، وتردَّدوا في أقاليمها، وأرجائها في أنواع المكاسب والتجارات)[1]. وهو معنى قوله تعالى: ﴿وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ﴾ . (شُبِّهَتِ الأرضُ في غاية تذليلها بالبعير المذلَّل).[2]

وفي الآية معنى جميل في حث النَّفس على طلب الرزق، والبحث عنه دون كلل أو تعب، في جميع أنحاء الأرض، شرقاً وغرباً، شمالاً وجنوباً، فالنفس لا تعلم بأي أرض تستكمل رزقها، وتستقر عليه، وما عليها إلا الأخذ بالأسباب، وهو لا ينافي التوكل على الله فالرزق منه. كما

[1] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٤/٤٢٤.
[2] ابن كمال باشا، تفسير سورة الملك، ص٥٣.

قال ﷺ: "لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله، لرزقكم كما يرزق الطير، تغدو خماصاً وتروح بطاناً" [1] .

يقول ابن كثير: "فأثبت لها رواحاً وغدواً لطلب الرزق، مع توكلها على الله ﷻ، وهو المسخِّر والمسيِّر والمسبِّب" [2]. وقوله: ﴿وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ فإذا أي: الرجوع والحشر إليه يوم القيامة. وهذه حقيقة، على الضمير الإنساني أن يحيا بها ويؤمن بالمعاد، فالذي خلق السموات السبع على اتساعها، وذلَّل الأرض على امتدادها، قادر على بعث العباد من قبورهم، ونشرهم إليه يوم الحساب، سبحانه جلَّت قدرته.

الدليل الثاني على قدرة الله تعالى؛ قلب خصائص هذه الأرض على الكافرين من أهل مكة المكذبين بدعوة النبي ﷺ، فبعد أن ذكر الله تعالى عقابهم في الآخرة في الآيات الماضية -رقم: (٦-١١)- انتقل هنا للإشارة إلى ما سيحل بهم في الدنيا كما حلَّ بالأمم السابقة.

لقد أهلك الله من كفر، وطغى، وكذَّب بالرسل من تلك الأمم بأصناف من العذاب، فكان منهم من خسف به الأرض؛ كما خسفها بقارون، ومنهم من أهلكه بالطوفان، كما أهلك قوم نوح وأغرق فرعون وقومه، ومن الأمم من أرسل لهم ريحاً تدمرهم، أو حجارة من السماء تهلكهم، كما أرسل ريحاً

---

[1] رواه الترمذي في سننه، ، وقال: حسن صحيح. باب: التوكل على الله، رقم: (٢٣٤٤)، (الرياض: دار السلام، ط١، ١٩٩٩م)، ص٥٣٦.

[2] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٤/٤٢٤.

صرصراً عاتية على قوم عاد، وصاعقة على قوم ثمود، وأهلك قوم لوط وأصحاب الفيل بحجارة من السماء.

إن المتأمل في الآيات يرى أن الله تعالى، بعد ما ذكر الأرض وما فيها من خصائص ومكرمات للإنسان، من تمهيدها، وتذليلها، وتهيئتها لوسائل الرزق ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ﴾ فَإِذَا، ذكر هنا حالتها الأخرى؛ إذ جعل فيها أسباب الهلاك والعذاب لمن كفر به وجحد، وعلا واستكبر، فهو – سبحانه وتعالى – قادر على تغيير حالتها، واختلاف طبيعتها، وقلب خصائصها من نعمة إلى نقمة، ومن رحمة إلى عذاب. وهذا من دلائل ملكه العظيم.

وكل ذلك كان معلوماً عند كفار قريش وغيرهم، وكأنهم أَمِنوا على أنفسهم عذاب الله، لذا خاطبهم الله بأسلوب الاستفهام الإنكاري المصاحب بالتعجب من هذا الاطمئنان: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا﴾ أي: (فيغيبكم في مجاهِلِها بعد ما جعلها لكم ذلولاً تمشون في مناكبها: ﴿فَإِذَا هِىَ تَمُورُ﴾ فَإِذَا تضطرب وتهتز بكم هزَّ شديداً عنيفاً)[1].

ثم أردف سبحانه الخطاب بأسلوب الاستفهام نفسه: ﴿أَمْ أَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ۖ فَإِذَا﴾ ، أي: ريحاً تحمل الحصباء والحجارة فتهلككم. فإن كنتم لا تأمَنون على أنفسكم ذلك، فَعَلام الإصرار على الكفر

[1] الصابوني، صفوة التفاسير، ٣/٣٥٩.

وتكذيب الرسل؟! فإذا وقع عليكم العذاب: ﴿فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ﴾ ﴿فَإِذَا﴾ ، أي: كيف كان عاقبة إنذاري لكم بالعذاب على ألسنة رسلي، وهو استفهام للتهديد والتهويل .

قال القرطبي: "وخصَّ السَّماء –أي: في قوله: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ فَإِذَا﴾ و﴿أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ فَإِذَا﴾ – وإن عَمَّ ملكه لكل شيء، تنبيهاً على أن الإله الجدير بالعبادة، هو الذي تنفذ قدرته في السماء، لا من كان المشركون يعظمونه في الأرض[1].

وقال ابن عاشور: "وقدم التهديد بالخسف على التهديد بالحاصب؛ لأن الخسف من أحوال الأرض، والكلام على أحوالها أقرب هنا، ولأن إرسال الحاصب عليهم جزاءٌ على كفرهم بنعمة الله التي منها رزقهم في الأرض المشار إليه بقوله: ﴿وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ فَإِذَا﴾ ؛ فإن منشأ الأرزاق الأرضية من غيوث السماء، قال تعالى: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ فَإِذَا﴾ [2] [3]".

---

[1] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ٢١٥/٩.

[2] [الذاريات: ٢٢].

[3] ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٣٥/٢٩

ثم يلفت سبحانه وتعالى الأنظار إلى أحوال الأمم السالفة، التي كذَّبت رسلها في إشارة عابرة سريعة، فقال: ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ أي: كيف كان إنكاري وتغييري عليهم؟ ألم يجدوا العذاب حقا؟.

المطلب السادس:

إمساك الطير في جو السماء من دلائل قدرة الله تعالى.

قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ وَيَقْبِضْنَ ۚ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُ ۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍۭ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾ فَإِذَا

الخطاب موصول لأهل الكفر، فلما أنذرهم بأنواع العذاب الدَّال على كمال قدرته؛ ضرب لهم مثلاً لزيادة بيانٍ على عظيم القدرة الإلهية، بكائن حي ومخلوق أَلِفَ الناس رؤيته، مما صرفهم عن التفكر فيه والتدبر في خلقه. لذا قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ فَإِذَا﴾ وهي دعوة للتأمل الدقيق لهذا المخلوق في أسلوب استفهام، (أي: أغفلوا ولم ينظروا ﴿إِلَى ٱلطَّيْرِ فَإِذَا﴾ ؟ لا في حالة سكونه على الأرض، وإنما في حالة طيرانه في السماء، فهو أبلغ في التأمل وطول النظر، وأدلّ على عظمة الخالق وقدرته الشاملة. و(الاعتبار بالطير ناسب المقام، وقد أهلك الله تعالى أصحاب الفيل بالطير والحاصب الذي رمتهم به.. ففيه إذكار قريش بهده القصة).[1]

[1] ابن كمال باشا، تفسير سورة الملك، ص٥٥.

أما قوله: ﴿فَوْقَهُمْ﴾ فَإِذَا لتمييز حالته، وهو على الأرض، وإلا كان مثله مثل غيره من الدواب، لا يلفت نظر المتأمل. وأما قوله: ﴿صَٰٓفَّٰتٍ﴾ فَإِذَا فحالة الطير؛ وهي باسطة أجنحتها، تمدُّها لتسبح في الهواء كالسباحة في الماء، وهو الأصل في الطيران. وأما قوله: ﴿وَيَقْبِضْنَ﴾ فَإِذَا أي: يضممن أجنحتهن، وهذا القبض طارئ على البسط، لذا عبّرَ عن التحريك بالفعل)[1]. (ولم يقل: "وقابضات" ليدل على أن القدرة؛ على ما هو خلاف الطبع؛ إنما هو في البسط. أما القبض فيطرأ وقتاً بعد وقت لاحتياج البسط إليه في التحريك).[2]

فالفعل يدل على الحدوث والتغيير، والاسم يدل على الثبوت، ولو قال: وقابضات لوقع الطير.

وهذه الطيور على اختلاف أنواعها وأحجامها وصفاتها ما بين طيور صغيرة وقليلة الطيران، أو كبيرة وبعيدة الطيران، في جو السماء الرّحب، مَن يمسكها ويحفظها من الوقوع على الأرض؟ إنه الله سبحانه وتعالى: ﴿مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ فَإِذَا ، ما يمسكهن في حالة البسط أو القبض إلاّ

[1] البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، تخريج: عبد الرزاق المهدي، (بيروت: دار الكتب العلمية: ط١، ١٩٩٥م)، ٧٨/٨ والشوكاني، فتح القدير، ٣٢٦/٥.
[2] ابن كمال باشا، تفسير سورة الملك، ص٥٥.

الرحمن الذي أنكره المشركون و﴿ قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحۡمَٰنُ فَإِذَا ﴾[1] وهم يعيشون في رحمته التي وسعت كل شيء، وهي متجلية حتى في الطير تحفظه من السقوط والتحطيم، أينكرون ألوهية الله ورحمته، ألم يروا الطير؛ وهي صافات وقابضات أجنحتها، ولا يمسكها أحدٌ من الناس، فمن يمسكها إذاً؟ إنه الرحمن جلَّ جلاله وعظم سلطانه[2].

فلما كان الرحمن سبحانه وتعالى هذا ملكه، وهذه قدرته وصف نفسه: ﴿ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءم بَصِيرٌ فَإِذَا أي: بالغ البصر والعلم بظواهر الأشياء وبواطنها، فمهما أراد كان، وهو يخلق العجائب ويوجد الغرائب[3].

وفي الآية لفت نظر إلى سعة رحمة الله تعالى بالحيوان. يقول الإمام القرطبي: "كما ذللَّ الأرض للآدمي، ذللَّ الهواء للطيور".[4]

لقد ذكر الله الطيور خاصَّة في هذا الموضع دون غيرها، وضرب بها المثل؛ لفوائد عدة :

---

[1] وتمام الآية: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسۡجُدُواْ لِلرَّحۡمَٰنِ قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحۡمَٰنُ أَنَسۡجُدُ لِمَا تَأۡمُرُنَا وَزَادَهُمۡ نُفُورَۢا ﴿٦٠﴾ فَإِذَا ، [الفرقان: ٦٠].

[2] أبو بكر الجزائري، أيسر التفاسير، ٥٢٤/٤.

[3] البقاعي، نظم الدرر، ٨٠/٨.

[4] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ٢١٥/٩.

- إن هذه الطيور مما يعتاده الإنسان في حياته، ويألف النظر إليه، دون تأمُّل أو تدبر، فكان لذكرها عبرة ولفت نظر. يقول ابن عاشور: "وكم غفل الناس عن دقائق في المخلوقات من الإنسان، والحيوان، والجماد، ما لو تتبعوه لتجلى لهم منها ما يملأ وصفه الصُحف، قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ فَإِذَا[1]، ﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ فَإِذَا[2]"[3].

- في دعوة الله الإنسان للتأمل في الطيور وهي في حالة الطيران تجوب أجواء السماء؛ إشارة حكيمة تخاطب الإنسان بأن يرفع رأسه، ويتأمل، ويحلِّق بنظره في ملكوت الله الأعلى، ويسبح بفكره في الأفق الواسع، وعالم السماء الرحب، وكأن الله تعالى يريد أن ينقله من الجاذبية الأرضية التي اعتادها وتعلق قلبه بأسبابها في حياته، إلى الجاذبية العلوية حيث الرحمة الإلهية وخالق الوجود الذي أبدع الصنع، وأتقن الخلق، وإليه سبحانه تصمد الخلائق. لذا لم يضرب الله مثلاً بالطيور؛ وهي ساكنة على الأرض، وإنما في حالة طيرانها وهي تسبح، وتسير، وتحلِّق من مكان إلى مكان، وبسباحتها يسبح الناظر إليها بخياله،

---

[1] [الغاشية: ١٧-٢٠].

[2] [الذاريات: ٢١].

[3] ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٣٥/٢٩.

وفكره، وينتقل معها أينما انتقلت! ويخفض ويرفع بصره كيفما ارتفعت وانخفضت! فسبحان ربي العظيم ما أجمل صنعه.

ومن معين الحقائق العلميَّة في الآية: الإشارة الواضحة إلى اختراع تِقني من أبدع ما توصل إليه الإنسان في العصر الحديث، ألاّ وهو: (علم الطيران) ؛ الذي انتهى الإنسان فيه، إلى اختراع الطائرة، والذي اشتق اسمها من اسم الطير، وحالة طيرانه في الجو: ﴿صَٰٓفَّٰتٖ وَيَقۡبِضۡنَۚ﴾. فهذه الإشارة العلمية هي ما جعلت المخترع الأندلسي (عبّاس بن فرناس) عام (٢٦٧هـ-٨٨٠ م)، يقوم بأوَّل تجرِبة بشرية على نفسه، بهدف السباحة في الجو. [١] ثم تطور العقل البشري بعد ذلك[٢] إلى أن وصل إلى ما وصل إليه اليوم من صناعة الطائرات على اختلاف أنواعها، وأحجامها، فسبحان الملك العلاّم .

---

[١] وذلك بأن اخترع آلة بسيطة يطير بها، كما مدَّ له جناحين طار بهما في الجو مسافة بعيدة، ثم سقط فتأذى في ظهره. وهو عالم ومهندس وفيلسوف. توفي (٢٧٤هـ-٨٨٧م). يُنظر: الموسوعة العربية العالمية، (الرياض: مؤسسة أعمال الموسوعة، ط١، ١٩٩٦م)، ٧٢/١٦.

[٢] تذكر الموسوعات العلمية، إن أول محاولة ناجحة للطيران البدائي كان في الولايات المتحدة، قام بها الأخوان "رايت" عام ١٩٠٣م.
يُنظر: موسوعة كنوز المعرفة، م.كمال شربل؛ موريس شربل، (. لبنان: دار نظير عبود، ط٣، ٢٠٠١م)، ٤٦/٥. وموسوعة عالم المعرفة، (بيروت: دار نوبلس، ط١، ٢٠٠٢م)، ٤٩٥/٦.

المطلب السابع :
قدرة الله تعالى في إظهار النِّعم على عباده.

قال تعالى : ﴿ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ۚ إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ ﴿٢٠﴾ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ ۚ بَل لَّجُّوا۟ فِى عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ﴿٢١﴾ أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾ قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ هُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ فَإِذَا .

تتعلَّق الآيات بما قبلها في معرض الحديث عن بيان قدرة الله تعالى، وذلك في أربع نعم على عباده:

أولها: أن الناصر الحقيقي هو الله. قال تعالى: ﴿ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ۚ فَإِذَا .

ثانيها: أن الرِّزق بيده سبحانه. قال تعالى: ﴿ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ ۚ فَإِذَا .

ثالثها: خلق الله البشر وأمدهم بالسمع، والبصر، والعقل. قال تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۖ فَإِذَا .

رابع النعم : قدرته سبحانه على جمع الخلائق بعد بثهم، وتفرقهم في الأرض. قال تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ۖ فَإِذَا .

إنها سلسلة من خطابات الاستفهام الإنكاري يوجهها الله تعالى لكفار قريش، ومن على شاكلتهم ممن تعلَّق قلبه بغير الله بالعبادة والولاء، واعتقد أنه ينفعه ويضره، وبيده الرزق والمنع. يقول الإمام الرَّازي: "اعلم أن الكافرين يمتنعون عن الإيمان، ولا يلتفتون إلى دعوة الرسول ﷺ، وكان تعويلهم على شيئين :

أحدهما : القوة التي كانت حاصلة لهم بسبب مالِهم، وجندهم.

والثاني: أنهم كانوا يقولون: هذه الأوثان توصل إلينا جميع الخيرات، وتدفع عنَّا كل الآفات. وقد أبطل الله عليهم كل واحد من هذين الوجهين"[1].

أما الأول: فبقوله: ﴿أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ أي: لا جند لكم، ولا ناصر يدفع عليكم عذاب الله سوى الرحمن. (والتعبير بقوله: ﴿مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ ، إشارة إلى أن بقاء الناس في الأرض مع كفرهم وظلمهم هو برحمة الرحمن الذي وسعت رحمته كل شيء)[2]. ولكن الحقيقة الثابتة التي أقرَّها القرآن الكريم؛ أن من طبع الكفّار؛ الغرور

[1] الرازي، فخر الدين، مفاتيح الغيب، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ٢٠٠٠م)، ٦٣/١٥.

[2] الزحيلي، د. وهبه، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، (بيروت ودمشق: دار الفكر المعاصر؛ ودار الفكر، ط١، ١٩٩١م)، ٣٢/٢٩.

والأماني الكاذبة من الشيطان، قال تعالى: ﴿إِنِ ٱلۡكَٰفِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ﴾ فَإِذَا ، أي: واقعون في غواية الشيطان وخداعه لهم بأنه لا حساب ولا عذاب.

وأما الثاني قوله تعالى: ﴿أَمَّنۡ هَٰذَا ٱلَّذِي يَرۡزُقُكُمۡ إِنۡ أَمۡسَكَ رِزۡقَهُۥ﴾ فَإِذَا ، والمعنى: من الذي يرزقكم من آلهتكم إن أمسك الله الرزق عنكم؟ بمنع أسبابه؛ كالمطر والنبات! عندئذٍ لن تجدوا رازقاً سواه، وهنا يقرِّر الله حقيقة ثابتة فيهم، وهي التكبر والإعراض عن الحق، فقال: ﴿بَل لَّجُّواْ﴾ فَإِذَا ، أي: أصرُّوا وتشدَّدوا مع وضوح الحق: ﴿فِي عُتُوّٖ وَنُفُورٍ﴾ فَإِذَا ، في عتو، أي: في تمرد وتكبر، وفي نفور، أي: تباعد عن الحق وإعراض عنه"[1].

ثم ضرب الله لهم مثلاً حسياً لشخصين؛ أحدهما يمشي على وجهه بدل رجليه، والآخر يمشي قائماً كالمعتاد، فلعل هذا التشبيه البليغ يفيدهم في التفريق بين الحق والباطل، وينكر عليهم قياسهم الفاسد. قال تعالى: ﴿أَفَمَن يَمۡشِي مُكِبّٗا عَلَىٰ وَجۡهِهِۦٓ أَهۡدَىٰٓ أَمَّن يَمۡشِي سَوِيّٗا عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ فَإِذَا ، يقول الإمام ابن كثير: "وهذا مثل ضربه الله للمؤمن والكافر، فالكافر مثله فيما هو فيه كمثل من يمشي مُكبّاً على وجهه، أي: يمشي منحنياً، لا مستوياً على وجهه، أي: لا يدري أين يسلك، ولا كيف يذهب؟ بل تائه حائر ضال، أهذا أهدى ﴿أَمَّن يَمۡشِي سَوِيّٗا﴾ فَإِذَا أي: منتصب القامة ﴿عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ فَإِذَا أي:

[1] المرجع السابق نفسه (بتصرف).

على طريق واضح بيِّن، وهو في نفسه مستقيم، وطريقة مستقيمة. هذا مثلهم في الدنيا، وكذلك يكونون في الآخرة. فالمؤمن يُحشر يمشي سوياً على صراط مستقيم، مُفض به إلى الجنة الفيحاء. وأما الكافر فإنه يُحشر يمشي على وجهه إلى نار جهنم، ﴿ٱحۡشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزۡوَٰجَهُمۡ وَمَا كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ٢٢ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهۡدُوهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡجَحِيمِ ٢٣ وَقِفُوهُمۡۖ إِنَّهُم مَّسۡـُٔولُونَ ٢٤ مَا لَكُمۡ لَا تَنَاصَرُونَ ٢٥ بَلۡ هُمُ ٱلۡيَوۡمَ مُسۡتَسۡلِمُونَ ٢٦﴾ فَإِذَا[1] . عن أنس بن مالك قال: قيل: يا رسول الله ، كيف يحشر الناس على وجوههم؟ فقال: "أليس الذي أمشاهم على أرجلهم قادراً على أن يمشيهم على وجوههم" [2] ؟ .

ثم يُعدِّد الله سبحانه وتعالى سلسلة من النعم العظيمة على الإنسان، التي أودعها فيه، ناهيك عن غيرها مما لا يحصى، وهذه النعم لا يقدر على الإتيان بها أرباب المشركين، التي عبدوها وتعلقوا بها من دون الله. فقال تعالى: ﴿قُلۡ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَكُمۡ﴾ فَإِذَا أي: ابتدأ خلقكم بعد أن لم تكونوا شيئاً مذكوراً، ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ﴾ فَإِذَا أي: أودع فيكم حاسة السمع والأبصار والعقول المدركة[3]. لقد خُصَّت هذه الجوارح بالذكر، لأنها

---

[1] [الصافات: ٢٢-٢٦].

[2] رواه البخاري، كتاب: التفسير، باب: قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُحۡشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ٣٤﴾ فَإِذَا [الفرقان]، (رقم٤٧٦٠)، ص٨٣٤. ويُنظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٤/٤٢٥.

[3] المرجع السابق نفسه (بتصرف).

أداة العلم والفَهم[1]. وقد جاء ذكرها في القرآن الكريم في ستة مواضع[2] وذلك لأهميتها، فهي مناط التكليف، وأخبر سبحانه أن الإنسان مسؤول عنها يوم القيامة. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا﴾[3].

يقول الإمام الرازي : "واعلم أن في ذكرها ههنا تنبيهاً على دقيقة لطيفة، كأنه تعالى قال: أعطيتكم هذه الإعطاءات الثلاثة مع ما فيها من القوى الشريفة، لكنكم ضيعتموها فلم تقبلوا ما سمعتموه، ولا اعتبرتم ما أبصرتموه، وتأملتم في عاقبة ما عقلتموه، فكأنكم ضيعتم هذه النعم، وأفسدتم هذه المواهب، فلهذا قال: ﴿قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ﴾ ، وذلك لأن شكر الله تعالى، هو أن يصرف تلك النعمة إلى وجه رضاه، وأنتم لما صرفتم السمع، والبصر، والعقل، لا إلى طلب مرضاته، فأنتم ما شكرتم نعمته البتة"[4]. والآية تفيد ما سبق ذكره في شأن أهل النار حين عاتبوا أنفسهم ﴿وَقَالُواْ لَوۡ كُنَّا نَسۡمَعُ أَوۡ نَعۡقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾.

---

[1] الزحيلي، التفسير المنير، ٢٩/٣٤.

[2] [يونس: ٣١]، [النحل: ٧٨]، [الإسراء: ٣٦]، [المؤمنون: ٧٨]، [السجدة: ٩]، [الملك: ٢٣].

[3] [الإسراء: ٣٦].

[4] الرازي، مفاتيح الغيب، ١٥/٦٥.

وتتَّصل سلسلة النعم على الإنسان بعد نشأته، وما أودع فيه من حواس وآلات، وخلقه في أحسن تقويم، إذ بثه ونشره في أرجاء الأرض وأطرافها ﴿قُلْ هُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ فإذا مع اختلاف ألسنتكم في لغاتكم، وألوانكم، وأشكالكم وصوركم، فإذا جاء أمر الله عندها تعلمون. وقوله تعالى:﴿وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ فإذا أي : يجمعكم كما فرقكم، ويعيدكم كما بدأكم[1]. فأي قدرة هذه في خلق أصناف البشر إن لم تكن قدرة الله؟ وأي مُلك هذا في جمع الأولين والآخرين منذ أن خُلق البشر إن لم يكن ملكه تعالى؟

المطلب الثامن: من دلائل قدرة الله تعالى؛ علمه بالغيب.

قال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلْ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٦﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ ﴿٢٧﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِىَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِىَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٩﴾ فَإِذَا .

الآيات متصلة بما قبلها في مخاطبة كفار قريش وعرض الأدلة الإلهية على قدرته لإقامة الحجة عليهم، إذ تشير الآيات إلى علم الله تعالى بالغيب في أمرين:

الأول: علم الساعة ووقتها، وتبيّنه الآيات رقم: (٢٥، ٢٦، ٢٧).

الثاني: أن الله تعالى بيده آجال العباد، وتبيّنه الآيات رقم: (٢٨، ٢٩).

---

[1] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٤/٤٢٦.

لقد وجه الكفار سؤالهم بصيغة الاستهزاء للنبي ﷺ ومن معه من المؤمنين، وقد حكا الله ذلك عنهم فقال: ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ فَإِذَا أي: متى تقوم الساعة؟ عندها أمر الله تعالى رسوله ﷺ أن يجيبهم فقال: ﴿ قُلْ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ فَإِذَا أي: وقت قيام الساعة، كقوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ﴾ [1]

﴿ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ فَإِذَا أي: مهمتي أن أنذركم وأخوفكم عاقبة كفركم، وأبيِّن لكم ما أمرني الله ببيانه[2].

ثم جاءت الآية الآتية تخبر عن حالهم عند قرب العذاب، ورؤيتهم لحقيقته ﴿ فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً فَإِذَا . قال القرطبي: "وأكثر المفسرين على أن المعنى: فلما رأوه يعني: عذاب الآخرة ﴿ سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَإِذَا ، أي: ساءهم ذلك العذاب، وظهر على وجوههم سمة تدل على كفرهم، كقوله تعالى: ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَإِذَا .[3] فيرد الله عليهم على وجه التقريع والتوبيخ: ﴿ وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ فَإِذَا ، أي: من الدعاء كما

---

[1] وتمام الآية: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾ فَسَتَعْلَمُونَ [الأعراف: ١٨٧].

[2] الشوكاني، فتح القدير، ٣٢٨/٥ (بتصرف).

[3] [آل عمران: ١٠٦].

عند أكثر القرَّاء بالتخفيف: تَدْعُون. قال قتادة: هو قولهم: ﴿وَقَالُواْ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا﴾ فَإِذَا.[1] وقال الضحَّاك هو قولهم: ﴿وَإِذْ قَالُواْ اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ فَإِذَا.[2] [3]

لقد واجهت دعوة النبي ﷺ في مكة أنواعاً من العقبات والصدود، واستعمل المشركون عليها أساليب متنوعة من تعذيب، وتهديد، وسخرية، وتشويه إعلامي، وإثارة شبهات حول الوحي، حتى انتهى بهم المطاف- بعد عجزهم عن إيقاف هذه الدعوة والقضاء على صاحبها وأصحابه- أن تمنّوا هلاك النبي ﷺ وكل من معه. عندها أمر الله تعالى نبيه ﷺ بالرد عليهم ﴿قُلْ فَإِذَا﴾ يا محمد- ﷺ- لهم: ﴿أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ اللَّهُ فَإِذَا﴾ أي: أماتني، كما قال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ الْمَنُونِ فَإِذَا﴾،[4] ﴿وَمَن مَّعِيَ فَإِذَا﴾ من المؤمنين، ﴿أَوْ رَحِمَنَا فَإِذَا﴾ بتأخير آجالنا، فأي شيء يفيدكم بهذا ؟ وانظروا إلى أنفسكم ﴿فَمَن يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ فَإِذَا﴾ هل ما تعبدونه من دون الله سيرفع عنكم العذاب الواقع بكم؟ الجواب: لا! إذاً يا محمد- ﷺ- ﴿قُلْ فَإِذَا﴾ لهم: من بيده الملك كله؟ ﴿هُوَ الرَّحْمَٰنُ فَإِذَا﴾ الذي

---

[1] [ص: ١٦].
[2] [الأنفال: ٣٢].
[3] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ١٢٠/٩.
[4] [الطور: ٣٠]،

أنكرتموه وقلتم: وما الرحمن؟، أما نحن فـ ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ فإذا تمام الإيمان، ﴿وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا﴾ فإذا في جميع أمورنا، لم نتخذ معه شريكاً، أمَّا أنتم إن لم تؤمنوا اليوم وتعرفوا حقه وواجبه ﴿فَسَتَعْلَمُونَ﴾ فإذا لمن تكون العاقبة في الدنيا والآخرة ﴿مَنْ هُوَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ فإذا أي: منَّا أو منكم![1].

وفي الآيات وجه مناسبة مع أوّل السورة (ففي قوله سبحانه في أوائل السورة: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾﴾ فإذا أشار إلى من يحسن عمله بقوله: ﴿أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ﴾ فإذا وأشار إلى من يسيء بقوله: ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ﴾ فإذا ، فإن المغفرة إنما تكون للذنوب. وفيه إشارة إلى اليوم الآخر، فإن مغفرة الذنوب إنما تنفع في الآخرة. وذكر في آخر السورة من أساء في عمله ومن أحسن. فقال فيمن أساء :

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلْ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٦﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ ﴿٢٧﴾﴾ فإذا وقال فيمن أحسن: ﴿قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٩﴾﴾ فإذا).[2]

---

[1] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ٢٢١/٩، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٤٢٦/٤، (بتصرف).

[2] السامرائي، التناسب بين السور، ص٧٤.

المطلب التاسع:

اختتمت السورة ببيان قدرة الله كما افتتحت.

قال تعالى: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ ﴿٣٠﴾ فَإِذَا .

الآيات متصلة مع ما قبلها في الحديث عن مشركي مكة، فلمَّا ذكر الله سبحانه وتعالى وجوب التوكل عليه لا على غيره، وذكر الدليل عليه، قال آمرا النبي ﷺ أن يقول لهم: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ فَإِذَا ، "والمقصود: أن يجعلهم مقرِّين ببعض نعمه ليريهم قُبح ما هم عليه من الكفر، أي: أخبروني إن صار ماؤكم ذاهباً في الأرض فمن يأتيكم بماء معين؟ – أي: عذب – تراه العيون جارياً على سطح الأرض"[1].

وهكذا تُختتم السورة ببيان دليل من أعظم أدلة القدرة الإلهية، وهو إيجاد الماء الذي هو عصب الحياة، وحصوله ميسَّراً للإنسان، من دون كَلٍّ أو تعب، فلو أمر الله تعالى الأرض أن تجفّ! هل سينتفع على وجهها أحد؟! ذكر الزمخشري في تفسيره أن بعض الشطّار (المستهزئين) تُليت عنده هذه الآية ﴿ فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ فَإِذَا فقال: تجيء به الفؤوس

[1] الرازي، مفاتيح الغيب، ٢٩/٦٧.

والمعاول! فذهب ماء عينيه أي: عَمِيَ. نعوذ بالله من الجرأة على الله وعلى آياته[1].

لقد بدأت السورة بعرض أوَّل أدلة القدرة الإلهية ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ﴾ فإذا ، وخُتمت بأهم مقومات الحياة، وهو الماء. قال تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ﴾ فإذا ، كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ﴾ فإذا . يقول الإمام البقاعي: "ولمَّا افتتح سبحانه السورة بعظيم بركته وتمام قدرته وتفرده في مملكته، ودلَّ على ذلك بتفرده بالإماتة والإحياء، ختم بمثل ذلك بالماء، الذي وجوده هو سبب للحياة، وعدمه سبب للموت"[2] .

وهكذا تنتهي السورة، وقد بثَّت في النفوس، وحرَّكت في القلوب؛ حقيقة الإيمان الصادق، واليقين الكامل بالوحدانية، وبدلائل القدرة الإلهية، وحقيقة مفهوم المُلك والمالك لكل شيء، ابتداءً بخلق الموت والحياة، وانتهاءً بأسباب ذلك الموت أو تلكم الحياة. في رحلة إيمانية مليئة بالإعجاز النفسي والأمني، يعيش فيها المسلم مع ربه، ويتصل بكلماته المباركة، وألفاظه المعجزة، وحاله يقول بعد ما أَقَرَّ بدلائل عظيم قدرة الله

[1] الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنْزيل، (بيروت: دار المعرفة). ١٢٥/٤.
[2] البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات ولسور، ٨٨/٨.

تعالى في خلقه وآمن به، وإجابة عن سؤال الله تعالى في نهاية السورة ﴿فَمَن يَأْتِيكُم بِمَاءٍ مَّعِينٍ﴾: إنه الله ﷻ.

الخاتمـــــة

وفي نهاية الدراسة الموضوعية لسورة (الملك)، نخلص إلى بعض نتائج البحث، على النحو الآتي:

- ندرة الكتابة في تفسير سورة (الملك) تفسيراً موضوعياً، قائماً على أسس المنهج وقواعده.
- إن المنهج البحثي الأمثل في دراسة سور القرآن الكريم؛ دراسة تفسيرية موضوعية، هو المنهج التحليلي، والاستنباطي لآيات السورة الواحدة، وفواصلها، ومقاطعها، وما تتميز به من غيرها من السور.
- إن تسمية سورة (الملك) بهذا اللفظ، تسمية توقيفية عن رسول الله ﷺ .
- لم يثبت في سبب نزول سورة (الملك)، أو في بعض آيات السورة حديث، أو أثر.
- أعطت سورة (الملك) مثالاً، أنه لو ثبت لأي سورة من القرآن الكريم فضل، فإن لهذا الفضل علاقة بموضوع السورة ومحورها. وهو ما تناسب وسورة (الكهف) كذلك.

- لسورة (الملك) مناسبة موضوعية، وترابط ظاهر بما قبلها من سورة (التحريم)، وهي مدنية، وما بعدها من سورة (القلم)، وهي مكية.
- براعة الاستهلال في افتتاح سورة (الملك) ببيان القدرة المطلقة على ملك الله تعالى- وهي الوحدة الموضوعية للسورة- والتي كانت كمقدمة اندرجت تحتها مباحث السورة، بموضوعاتها المتنوعة في إظهار دلائل هذه القدرة وحقيقة ذلك الملك.
- جاءت موضوعات سورة (الملك) موافقة لمحورها ووحدتها الموضوعية، إذ شملت العنوانات الآتية: (الله، الإنسان، السماء، النجوم، الشياطين، النار، الجنة، الكافر، المؤمن، الأرض، الطير، الرِّزق، النِّعم، البعث والنشور، علم الساعة، الماء).
- أسلوب الاستفهام والالتفات هو الطابع الغالب في السورة، وهو من أقوى أساليب التربية القرآنية في هداية البشر، وقد ورد ثلاث عشرة مرة. ومنه: ﴿هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ۝٣ فَإِذَا﴾ ، ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ۝٨ فَإِذَا هِيَ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ۝١٤ فَإِذَا هِيَ ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ ۝١٦ فَإِذَا هِيَ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ ۝١٧ فَإِذَا﴾ .
- تكرر اسم (الرحمن) أربع مرات من عدد ثلاثة عشر اسماً من أسماء الله تعالى التي ذكرته السورة، وفي هذا دلالة واضحة على أن صفة الرحمة هي الصفة الغالبة على ملك الله تعالى وقدرته.
- ظهرت المناسبة الموضوعية جلية بين مفتتح سورة (الملك) وخاتمتها، فقد بدأت السورة بعرض أوَّل أدلة القدرة الإلهية ﴿ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلْمَوْتَ

وَٱلْحَيَوٰةَ فَإِذَا ، واختتمت بأهم مقومات الحياة؛ وهو الماء: هِىَ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ فَإِذَا . .

قائمـــة المراجـــع

- الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، تحقيق مركز الدراسات القرآنية، (المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ط١، ١٤٢٦هـ).
- أسباب النزول، أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي، (بيروت: عالم الكتب).
- أهوال القبور وأحوال أهلها إلى النشور، ابن رجب الحنبلي، (بيروت: دار الكتاب العربي،ط٦، ١٩٩٩م).
- أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، أبو بكر الجزائري، (دون ناشر، ط٢، ١٩٨٧م).
- البحر المحيط، محمد بن يوسف أبو حيان، تحقيق: عادل أحمد عبد الجواد وجماعة، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٣م).
- البرهان في تناسب سور القرآن، أحمد بن إبراهيم بن الزبير، تحقيق: د. سعيد بن جمعة الفلاَّح، (الدمام: دار ابن الجوزي، ط٢، ١٤٣١هـ).

- البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (الرياض: دار عالم الكتب، ط١، ٢٠٠٣م).
- التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، (تونس: الدار التونسية للنشر، ط١، ١٣٨٤هـ).
- تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمرو بن كثير، (الرياض: دار عالم الكتب، ط١، ٢٠٠٤م).
- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، د. وهبه الزحيلي، (بيروت ودمشق: دار الفكر المعاصر؛ ودار الفكر، ط١، ١٩٩١م).
- التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق، صلاح عبد الفتاح الخالدي، (الأردن: دار النفائس، ط١، ١٩٩٧م).
- التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، إعداد نخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن، إشراف: أ. د. مصطفى مسلم، (الإمارات العربية المتحدة، جامعة الشارقة، كلية الدراسات والبحث العلمي، ط١، ٢٠١٠م).
- تفسير سورة الملك، أحمد بن سليمان بن كمال باشا، تحقيق: د. حسن ضياء الدين عتر، (بيروت: دار البشائر الإسلامية، ط١، ١٩٨٦م).
- التناسب بين السور في المفتتح والخواتيم، د. فاضل صالح السامرائي، (الدمام: دار ابن الجوزي، ط١، ١٤٣٢هـ).
- جامع الترمذي، أبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي، (الرياض: دار السلام للنشر والتوزيع، ط١، ١٩٩٩م).

- الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ، (بدون ناشر).
- الدر المنثور في التفسير بالمأثور، جلال الدين السيوطي، (بيروت: دار الفكر، ١٩٩٣م).
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، أبو الثناء شهاب الدين محمود الآلوسي، (بيروت: دار الكتب العلمية،ط١، ١٩٩٦م).
- زاد المسير في علم التفسير، أبو الفرج جمال الدين ابن الجوزي، (بيروت: دار الفكر، ط١، ١٩٨٧م).
- الزهد، هناد بن السري ، تحقيق: عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي،(الكويت: دار الخلفاء للكتاب الإسلامي، ط١، ١٤٠٦هـ).
- السلسلة الصحيحة ، الألباني، ناصر الدين، (الرياض: مكتبة المعارف، ١٩٩٥م).
- سنن ابن ماجة، أبي عبد الله محمد بن يزيد، (الرياض: دار السلام، ط١، ١٩٩٩م).
- شعب الإيمان، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: محمد السعيد زغلول، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٠هـ).
- صحيح ابن ماجه، محمد ناصر الدين الألباني، (الرياض: مكتبة المعارف، ط١، ١٩٩٧م).
- صحيح البخاري، أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، (الرياض: دار السلام،ط٢، ١٩٩٩م).

- صحيح الترغيب والترهيب ، ناصر الدين الألباني (الرياض: مكتبة المعارف، ط٥).
- الصحيح من أسباب النزول، عصام الحميدان، (بيروت: مؤسسة الريان، ط١، ١٩٩٩م).
- صحيح وضعيف الجامع الصغير، محمد ناصر الدين الألباني، (بيروت: المكتب الإسلامي، ط٣، ١٩٨٨م).
- صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، (بيروت: المكتبة العصرية، د. ط، ٢٠٠٦م).
- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي الشوكاني، (بيروت: دار المعارف).
- في ظلال القرآن، سيد قطب، (بيروت: دار الشروق، ط٧، ١٩٧٨م).
- فيض القدير، للمناوي، (مصر: المكتبة التجارية الكبرى، ط١، ١٣٥٦هـ).
- القاموس المحيط، الفيروزآبادي، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٩٨٧م).
- كشَّاف الدراسات القرآنية؛ (الرسائل الجامعية في الدراسات القرآنية حتى ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م)، جمع وإعداد: د. عبد الله محمد الجيوسي. (دمشق: دار الغوثاني للدراسات القرآنية، ط١، ٢٠٠٧م).
- الكشاف عن حقائق التنْزيل، جار الله الزمخشري، (بيروت: دار المعرفة).

- لباب التأويل في معاني التنزيل، أبو الحسن علي بن محمد الخازن، (القاهرة: مطبعة الاستقامة، ط١، ١٣٧٤هـ).
- مباحث في التفسير الموضوعي، مصطفى مسلم، (دمشق: دار القلم، ط٥، ٢٠٠٧م).
- مباحث في علوم القرآن الكريم، منَّاع القطان، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ٢٣، ١٩٩٨م).
- مجمع الزوائد، وقال علي بن أبي بكر الهيثمي، (القاهرة: دار الريان للتراث؛ بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٧هـ).
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ٢٠٠١م).
- المحرر في علوم القرآن ، د. مساعد الطيار، (جدة: مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي، ط٣، ٢٠١٠م).
- المستدرك على الصحيحين، للحاكم، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، (بيروت: دار الكتب العلمية، ، ط١، ١٤١١هـ/١٩٩٠م)
- المشاهد في القرآن الكريم، د. حامد قنيبي، (الأردن: مكتبة المنار، ط١، ١٩٨٤م).
- معالم التنزيل، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، (الرياض: دار طيبة،١٤٠٩هـ).

- المعجم الصغير، سليمان بن أحمد أبو القاسم الطبراني، تحقيق: محمد شكور محمود الحاج أمرير، (بيروت: المكتب الإسلامي؛ عماد: دار عمار، ط١، ١٩٨٥م).
- المعجم الصغير، سليمان بن أحمد أبو القاسم الطبراني، تحقيق: محمد شكور محمود الحاج أمرير، (بيروت: المكتب الإسلامي؛ عماد: دار عمار، ط١، ١٩٨٥م).
- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، ، (بيروت: دار الفكر،١٩٨٧م).
- مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ٢٠٠٠م).
- المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، د. جواد علي، ، (دار الساقي، ط٤، ٢٠٠١م).
- من بلاغة سورة الملك، د. عائشة حسين فريد، (الزهراء كمبيوسنتر بمصر، د.ط، د.ت).
- المنتخب من مسند عبد بن حميد، عبد بن حميد، تحقيق: صبحي البدري السامرائي ومحمود محمد خليل الصعيدي، (القاهرة: مكتبة السنة، ط١، ١٩٨٨م).
- الموسوعة العربية العالمية، (الرياض: مؤسسة أعمال الموسوعة، ط١، ١٩٩٦م).

- موسوعة عالم المعرفة، (بيروت: دار نوبلس، ط١، ٢٠٠٢م).
- موسوعة كنوز المعرفة، م.كمال شربل؛ موريس شربل، (لبنان: دار نظير عبود، ط٣، ٢٠٠١م).
- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين البقاعي، ، تخريج: عبد الرزاق المهدي، (بيروت: دار الكتب العلمية: ط١، ١٩٩٥م).

المراجع الإلكترونية:

- موقع تفسير: www.tafsirs.com
- موقع شبكة مشكاة الإسلامية : www.almeshkat.net